سلسلة الإبداع الشعرى

الرؤيا والوطن

شعر

صلاح والي

دراسة

د. صلاح السروي



سلسلة الإبداع الشعرى المعاصر

قناع الشاعر الصعلوك ولعبة التناص في ديوان «الرؤيا والوطن» لصلاح والى

-١-

البنيـة المركزية التى يقـوم عليهـا ديوان «الـرؤيا والوطن» لصـلاح والى هى «الأنا المغـتـربة» فى مـواجـهـة واقع منهـار وأفول الأنا على نحو محدود وليس الذات، حيث تبرز الأنا الشـاعرة باعتبـارها كيـانًا دلاليًا مـغـايرًا كلية لكل مـا هو محيط من بشـر وكائنات، بل ومتفوقًا عليها جميعًا، بما لا يسمح له بالتوافق معها، وهو ما يؤدى إلى غربته وانفصاله عنهـا، ومن ثم تتـمـركز العـلاقة بين «الأنا» (غيـر المتكررة) والآخرين، وليس بين ذات وذوات.

ويبـرز إحـسـاس الأنا بالتـمـيـز والانفـصـال، بداية من العنوان الذى يطرح مـفـهـوم الرؤيا مـقـتـرنًا بالوطن. ومن

البديهى أن «الرؤيا» (بالألف وليست بالتاء المربوطة) توحى بمفهوم الكشف والتجلى بالمعنى الصوفى، أى القدرة على الاستبصار ومعرفة ما كان وما سيكون، ويتأكد هذا المنحى بالبرولوج الذى يورده الشاعر فى مقدمة الديوان بعنوان «استحالة» حيث يرهن استحالة أن يكون له شبيه باستحالة أن يكون لأحد رحم كرحم أمه:

«من يمتلك رحمًا كرحم أمى فليأت بى»، هكذا يمنح الديوان مفتاح شفرته من اللحظة الأولى، بحيث تصبح «الرؤيا» مجسدة لمعنى النبوءة والكشف اللذين يجسدان تسامى الذات الشاعرة واستعلائها، وذلك تجاه من يقطنون الوطن وما يمثلونه من وضعية منهارة، بائسة. ولا يعنى هذا أن الشاعر منفصل عن - أو مذدر - لهذا الوطن، ولكنه الحب والعشق الشديدان له ومن ثم الأسى لوضعيته، هذا الأسى الذى قد يفضى إلى الموت أو الهجرة، يقول فى قصيدة «الوتر والشفع»:

«فصرختَ انك يابلاد أحب ارض الله لى لكن ليلك قد حلك».

وهو ما يوحى بأنه نادم على عودته تلك التى أنبأتنا بها القصيدة فى البداية، وهو ما سيؤدى فى نهايتها إلى الموت كعقاب له على تفرده واختلافه واحتجاجه على التردى الذى رمز له بالارتداد للوثنية:

«أنت الذى قلب الحجارة، سفه الأصنام ،

كسّر رأس قائدهم معًا وصرخت هل من معترض ؟».

وإذا كانت الوثنية مرتبطة بالصحراء والبداوة الجاهلة فيصبح الموت هو أن تحتويه رمال تلك الصحراء التى زاوج بينها وبين السيف أى الموت، أو هو الدلالة المشتركة بينهما بعد أن سبق كلاً منهما عبارة **«فادخل إلى»: «فادخل إلى السيف المشرَّع وأعطه عنقًا»**. ثم **«فادخل إلى جسد الرمال»**. وهو فى ذلك يطرح وضعية موازية لوضعية السيد المسيح الذى حاول أن يخلص الناس من الإثم فلاقى نفس المصير، طارحًا دلالة أيقونية ممتزجة بتناص واضح مع آيات القرآن الكريم حين يقول:

«أأنت أكرم أم ترى ابن البتول؟! ألم يمت يومًا

ومتنا بضع أيام عليه مدامعًا

فادخل إلى جسد الرمال مضمخًا بدماء من حزنوا

عليك فتلك سنتنا وهذا فرضنا شفع

وأنت الوتر فينا منفرد».

هكذا يصبح الانفراد والاختلاف هو الجريرة الحقيقية التى تستحق معها الأنا الشاعرة هذا المصير الأليم.

هذه البنية سنجدها مطروحة فى معظم قصائد الديوان وإن كانت على تنويعات مختلفة نسبيًا، حيث ستتم ترجمتها عبر تقنيتين أساسيتين:

- قناع الشاعر الصعلوك، وأحيانًا قناع المسيح وأخرى قناع الصوفى.
- لعبة التناص مع الكتب السماوية.

حيث تترجم تلك الأقنعة معنى الخروج على الجماعة الظالمة واستشراف نهاية مروعة لها (وهو ما يبرر هذا الخروج)، غير أن الخروج هنا ليس تمرد الذين يرغبون فى النجاة بأنفسهم ولكنه تمرد المحبين العاشقين، مما يوحِّد

ـ من زوايا متعددة ـ أقنعة الثائر والنبى والصوفى. وكلهم شهداء بدعوتهم وشهداء بموتهم. وهذا الأمر يعتبر مسوغًا معقولاً جدًا لكى يتم التناص مع مقولات الكتب السماوية، تلك التى تمثل مرجعية أيقونية على قدر من الثراء التأثيرى من الناحية المعنوية العاطفية.

وإذا كان الخروج على الجماعة يتم من منطلق «العشق» لها والحقيقة. وإذا كان الموت يتم كنتيجة تراچيدية لذلك، حيث تذكرنا بمصير بروميثيوس وأنتجون والمسيح والحلاج... إلخ على قدم المساواة، فإن الديوان يستخدم عنصرًا دلاليًا ثالثًا إلى جانب كل من «العشق» والموت، ألا وهو «البحر» الذى يمثل دلالة الواقع المتلاطم فى حركيته وتقلبه، مائيته المحتوية على معانى البدء والقدم، فهو الحياة بكل المعانى. ومن ثم يمر العشق ببرزخ البحر وصولاً إلى الموت. إنها إذًا، تراچيديا الأنا المغتربة فى مواجهة الواقع المنهار الذى يؤدى حتمًا إلى أن يلعب الضمير الأول دور البطولة المنفردة والمطلقة.

وسوف أحاول فى الصفحات التالية مناقشة هذه العناصر الدلالية الثلاثة:

(العشق - البحر - الموت) فى النموذج البنيوى الذى رشحته (الأنا المغتربة فى مواجهة الواقع المنهار) وعبر التقنيتين المطروحتين: الأقنعة والتناص مع الكتب السماوية.

يتبدى **مفهوم العشق عند صلاح والى** ملتبسًا بدلالات جسدانية شهوانية واضحة إلى جانب دلالاته الصوفية المرتبطة بمفهوم الكشف الروحى المستبطن. وهو ما يمكن أن يشكل سبيكة أخاذة تحتل فيها الأنا المتعالية مركزًا أثيرًا متصدرًا، مستفيدًا فى ذلك من تراث الصوفية، خاصة عند ابن الفارض وابن عربى حيث تصبح الرحلة إلى المعنى المتعالى الكلى اللدنى هى نفسها الرحلة إلى المتعين الأرضى. مع اختلاف فى البناء التصويرى بما يجعله يأخذ طابعًا أسطوريًا يكثف المعانى ويمنحها أطرًا غير أرضية تنقلها إلى مناطق من الوعى تتجاوز التقريرى والسردى.

يتبدى ذلك المعنى بوضوح فى قصيدة «اغتيال وردة الضوء» حيث نشاهد تلك العلاقة المشبوبة بين أنا الشاعر وبين «وردة الضوء»، التى يمكن أن تمثل الحقيقة ونموذج الجمال الآخاذ فى نفس الوقت، يقول:

«انحنى الضوء فى شرفة الليل فوق الجسدْ

فارشًا نغمًا من عبير التمزق، والبهجة النرجسية، والـ... ».

حيث تبرز الأنا مرتدية قناع الصوفى، الذى تمنحه عناصر الوقت فرصة الكشف والتجلى، وذلك من عبارة انحنى الضوء. فالضوء هو الفاعل، بينما الأنا هى الجسد المفعول به، وهو ما يمكن أن يعطى معنى الاصطفاء والاختيار خاصة عندما يقول بعد ذلك: **«فقامتْ صرختُ: أريدك أنت وجاءتْ فصار المدى أغنيات».**

وإذا كان الضوء قد انحنى فى شرفة الليل فإن المعنى يتقدم نحو مفهوم الرؤيا، ذات الدلالات المتعلقة بالحلم المتجاوز لليومى والراهن، وهو ما يمنح الصورة بعدًا مجازيًا مضاعفًا من ناحية انحناء الضوء بما يضفى على

الضـوء دلالات القـوة الفـاعلة الواعيـة، ومن ناحيـة أن ذلك يتم فى الحلم والرؤيا. مما يطرح من ناحيـة أخرى، تبـريرًا واتساقًا للأمر برمته.

المهم هنا أن العـلاقة مـع الضـوء الذى سوف يأخذ شكل الوردة (الأنثى) يتم على محـور الجسد، وهو مـا يعـمل على نقل المعنى إلى مستويين متوازيين: الأول تجسيد النورانى. والثـانى الانتـقـال بالجـسـد ودلالاته الأرضـيـة إلى المعنى النورانى، وهـو مـا يطـرح العـلاقـة بكاملهـا فى إطار من التعانق الموحى، الذى يجسد الدلالة ويشخصها. وبعيدًا عن تفاصيل تحقيق العلاقة مع وردة الضوء التى تنتقل ما بين إحجام وإقدام وشـرح تفاصيل فتنة هذا الكيان الهيولى المتجسد وصولاً إلى التحقق الكامل:

«فقلت الحريق ابتدا

وصار الحريق بعرض المدى»

إلا أن هذا الأمر لا يستمر هكذا فها هو الظلام يتربص بالضوء ـ الوردة ويحكم قبضته عليها فتكون النهاية:

«فاستدار الظلام له

وأحكم قبضته

فانتهينا

ا ن ت هـ ى

الخلق

ان ت هـ ى

الضوء

ان ت

هـ ى ن ا».

إن النهـاية هنا هـى الموت المزدوج، مـوت الضـوء ـ الحلم وموت الأنا الشاعرة التى خسرت فرصة الإصفاء والانفراد، وهو ما يتم التعبير عنه بالنطق البطء لكلمة انتهى الخلق... الضوء... انتهينا، حيث تكتب هكذا مفرقة الأحرف وهو ما يوحى بدلالة الاحـتـضـار والموت البطىء. وكـأن الأنا كـانت تستمد طاقة الحياة من ذلك الضوء الآخذ فى الاختناق، وهو ما يذكرنا، والقصيدة كلها تذكرنا فى الحقيقة، علاقة أنا

مشابهة تم اصطفاؤها واختيارها للتلاقح مع كائن نورانى: «هى» فى قصة «الجنس الثالث» التى أصبحت مسرحية بعد ذلك ليوسف إدريس. غير أن الفارق هنا أن المجاز كامل ومطلق بخلاف مسرحية يوسف إدريس التى تجسد المجاز بتجليه فى أشخاص أرضيين فى نهايتها.

يرتبط عنصر العشق إذن عند صلاح والى بمفهوم الفحولة الجسدية المباشرة والاصطفاء للأنا يتم على هذا الأساس.

فى قصيدة الهجير يبرز العشق الجسدانى ممثلاً الرغبة فى الفعل والتواصل، وينتهى كما فى باقى قصائد الديوان إلى الغناء والغربة إن لم يكن الموت.

«وأرانى مقتولاً بعيداً عن بلاد حبيبتى شلواً تمزق

فى مضارب هذه الأعراب لا أحداً ينوح».

هكذا يصبح العشق مدخلاً للمأساوى التشاؤمى الذى يمثله الموت، والرابط بينهما أن كليهما يتم فى إطار من المفعولية التى تحقق مفهومى الاصطفاء والاستشهاد معًا.

وإذا كان العشق هو المدخل إلى عالم صلاح والى بملامحه الجسدية المجازية فإن البحر يمثل هذا العالم ذاته، إنه ميدان المعركة وساحة النزال، وهو ما يتحول فيما بعد إلى ساحة الهزيمة، فهو إلى جانب أنه يحيل إلى معنى الاضطرام فهو يحيل كذلك إلى معنى الألم والجرح وهو ما يطرح دلالة العلاقة الصراعية غير المتكافئة، التى تجعل لموت الشاعر هذا المعنى التراچيدى. يقول فى قصيدة «دخولاً إلى الوطن»:

«أنت فى العالمين ضياعٌ

أوحدُ فيك تجزؤك الآن

اركض إلى سرة البحرِ

ادخل إلى الجرح».

حيث يصبح «الدخول إلى الوطن» فى عنوان القصيدة، هو نفسه الركض إلى سرة البحر وفى نفس الوقت الدخول إلى الجرح وذلك من خلال المزاوجة بين كلمتى «اركض

وادخل». فتوازى هاتين الكلمتين وتداخلهما دلاليًا، يؤدى إلى توازى كلمتى البحر والجرح وتداخلهما على نفس المستوى، خاصة عندما يتعمق هذا الاستنتاج بالسطرين التاليين:

«استلق فى زبد للخليج

وعلق عذابات عشقك فوق المحيطِ».

هكذا يصبح البحر - الجرح ممتدًا بطول الوطن العربى فى المسافة بين الخليج والمحيط، حيث يصبح الاستلقاء على زبد الخليج الذى يعنى هنا الاستسلام والتأسى، جوابًا لقرار سابق دل عليه السطر:

«أنت فى العالمين ضياع».

إن هذا التجريد والاختزال الذى حقق مناداة الشاعر لذاته بأنه مجرد «ضياع» وسط العالم، والذى يوحى بشمول الحالة وشيوعها، كما يجسد معنى الغربة القاتلة التى تنتج عن المواجهة بين ذات الشاعر «أنت» وبين «العالمين» وليس مجرد العالم. أقول إن هذا التجريد هو الذى يدفع الشاعر أن يخص أناه على أن تتمثل ما أدى إلى

ضياعها بأن: «**أوحِّدُ فيك تجزؤك الآن**» فيؤدى فعل الأمر «أوحِّدُ» الذى يوحى بمعنى الاستدعاء إلى أن حالة التجزؤ، إنما هى حالة أصلية وجوهرية داخل الشاعر سواء على مستوى التجزؤ الروحى والذى يعنى الاغتراب والانقسام الجغرافى الذى دل عليه ذكر كلمتى «الخليج» و«المحيط»، اللتين تلخصان الحدود الجغرافية العربية، ومن ثم يصبح الضياع ناجمًا عن التجزؤ والانقسام وسببًا فيهما أيضًا، فهما معًا حالة كلية تتبادل عناصرها التأثير والتأثر، وهو ما يوضح لنا الدلالة التى يمثلها هذان السطران السابق ذكرهما؛ حيث يصبح المعنى الكلى أن عليك أن تمارس انقسامك واغترابك إلى النهاية فإذا استسلمت بالاستلقاء على زبد الخليج (نلاحظ ما تحققه كلمة زبد من إيحاء بالخواء وانعدام القيمة) فلتعلق آلام حبك على الجانب الآخر من الوطن العربى (المحيط) أو فلتنقسم ذاتك، ولتتفصم روحك إلى حدودها القصوى.

يتأكد هذا المعنى بقوة ويأخذ منحى ساخرًا من مجمل الوضع البائس عندما تتكرر صيغة الأمر فى قوله «اهدأ»

والتى تعد ترجيعًا للصيغتين السابقتين «استلق» و«علق»، خاصة بعد أن جاءت هذه الأفعال جميعًا بعد «أوحِّدُ» و«اركض» و«ادخل» فتصبح أفعال الهدوء الراحة تتمة لدائرة بدايتها الأفعال الإيجابية ونتيجة لها فى نفس الوقت فالوضع أصبح برمته مدعاة للسخرية، فيقول:

«واهدأ على مرمر لاهبٍ

فالشياة على قمة التل

صفان، صفان من أبيض

ما افتر ثغرٌ على مثلهم

والماعز الجبلى - السواد المؤجج بالليل

فرعان من حولنا».

إن الهدوء على المرمر الذى قد توحى به حالة الوفرة المادية ليس هدوءًا بالمعنى الحقيقى فهذا المرمر المعروف بأنه بارد الملمس، هو هنا ملتهب وقاتل، ومن ثم تصبح الدلالة الحقيقية التى يبثها فعل الأمر «اهدأ» مغايرة تمامًا

للدلالة اللغوية المباشرة، بل ومضادة لها، ومن هنا يأتى الأثر الساخر خاصة عندما تصبح القيمة الحقيقية لهذه الشياة والماعز هى مجرد أن تؤكل وذلك من قوله **«ما افتر ثغر على مثلهم»** ومن ثم فعليك أن تهدأ على هذا المرمر فغذاؤك مؤمن وكأن الأمر بذلك قد حل؛ بينما هو فى الحقيقة مستحيل، لأن هذا المرمر ببساطة ملتهب.

يتأكد هذا التخريج للجزء السابق عندما يلتفت الشاعر مخاطبًا امرأة البحر التى يمكن أن تكون الحياة المراوغة ذات الأوجه المتعددة بأن «لا تقبلى».

«آه يا امراة البحر

لا تُقبلى فالستائر لا تحجب الضوء

ظلك ياتى بعمق المحيطِ

فيغرق احلامنا

ارقصى الآن فى السقف

استلقى ما بين اضواء قلبى

ولا تلمسى الحزن.... دعينى أغنى

كل هذا الحنان.... ومشنقة فى الصباح !!» .

إن تصـدير هذا المقطع بكلمـة «آه» يدل على مـدى مـا يسـببـه ذلك الخـاطر من ألم ورغـبـة فى نفس الوقت، وإذا كان هذا الألم مرتبطًا بامراة البحر أو الحياة المتلاطمة كما سبق أن أسلفت، فإن المتع المنتظرة (راجع محور العشق فى الجزء الأول من هذه الورقـة) غيـر قـابلة الآن للتحقق، لأن هذا الأمر سيفتضح بالضرورة وذلك من قوله «فالستائر لاتحجب الضـوء إضـافـة إلى أن الجانب المؤلم فيـهـا قـد أصبح سابغًا إلى الحد الذى يصبح فيه بعمق المحيط وهو مـا يعنى أنها هى نفسها ذلك البحر المحيط الذى سيأتى هنا حـاملاً خاصية أيقونية واضحـة ومن ثم يصبح فعل الإغراق متسقًا مع تلك الخاصية. إن «امراة البحر» بتلك الصـفـات تحـمل دلالة أسطورية من نوع مـا، خـاصـة وأنهـا تتمـاهى مع مـا هو مـتوارث من جنيَّات البـحر أو عـروس البـحر.. إلخ مما يجعلها ـ على هذا المستوى ـ قـادرة على إغراق الأحلام، وذلك بأن يأتى ظلهـا بعـمق المحيط، وأن

الظل المغرق للأحلام لا يمكن إلا أن يكون كابوسًا مظلمًا، فكيف تتسق جوانب الصورة بذلك مع دلالة الطرح السابق **«لا تقبلى فالستائر لا تحجب الضوء»**؟ وكيف يتسق الضوء السابغ الذى لا تقوى الستائر على حجبه مع دلالة الكابوس المظلم المغرق للأحلام؟ إن الأمر ليس متعلقًا بكون امرأة البحر - كمصدر للظلام - شيئًا آخر غير الضوء الذى لا يمكن حجبه؛ لأنه إذا كان كذلك فكيف يتجاوز الضوء والظلام فى ذات اللحظة؟ اللهم إلا إذا كان الضوء يحمل دلالة سلبية أخرى تضاف إلى دلالة الظلام، لكن هذا التناقض فى كل الأحوال يمثل ضعفًا فى تركيب الصورة رغم جمالها البادى. المهم الآن أن هذه الكينونة المزدوجة «لامرأة البحر» قد باتت مؤكدة، فها هو يطلب منها أن تتواجد فى أحلامه **(ارقصى الآن فى السقف)** وأن تحتل حناياه **(استلقى ما بين اضواء قلبى)** شرط أن لا توقظ حزنه وأن تحيد جانبها المؤلم السلبى. بيد أن حالة المفعولية التى أشرت إليها فى الجزء السابق والتى تكتنف وضع الأنا الشاعرة تجاه متغيرات عالمه تتكرر هنا بوضوح،

خاصة عندما يقول **«ولا تلمسى الحزن دعينى اغنى»**. إن هذه الحالة بالتحديد هى المسئولة، بصورة تكاد تكون مباشرة، عن هذه الوضعية المأساوية المفترية فهو من حيث يشتهى هذا العالم ويحبه، مقتول به، حيث تعاودنا من جديد ازدواجية العشق والموت: **«كل هذا الحنان... ومشنقة فى الصباح»**. وهى تلك الحالة المزدوجة التى تتبدى فى نهاية القصيدة حيث تكون نتيجة ثقته بأصحابه أن يعانق الموت الذى هو عنده صنو للعشق وقرين للحياة :

«فعانقنى الموت والعشق

عانقنى فى الفناء البقاء».

فى قصيدة اغتصاب تتجسد بقوة تلك الخاصية الأيقونية للبحر لتصبح مباشرة فى «امرأة البحر» ولكنه يطفو بوجهه المحدد المباشر الذى يحمل تلك الدلالات السابق الإشارة إليها:

«هكذا البحر يحملنى الآن فى زورق

بين تلك الشواطئ

تلك هى الآن دندنة الموج

أعرف أن الرياح التى سوف تأتى مدمرة

فلماذا يقاتلنى السمك البحرى ؟».

فالبحر هنا هو تحولات الأوضاع المجتمعية التى تؤكدها كلمة «بين» قبل عبارة «تلك الشواطئ»، حيث تأتى «الآن» فى السطر الأول منذرة بما سيأتى من تحول عارم فى المستقبل، سوف يقلب الأوضاع، نفس الأمر الذى يؤكده فى السطر الثالث: «**تلك هى الآن دندنة الموج**» فالراهنية المنذرة التى توحى بها كلمة «الآن» والمرتبطة بكلمة «دندنة الموج»، أى الحركة الإيقاعية المطمئنة هى التى تسلم بصورة تلقائية إلى الدلالة التى يبثها السطر التالى الذى يحمل نبوءة الدمار والهلاك القادم مع الرياح المنتظرة. وهو ما يجعل السمك البحرى يقتله، غير أن التساؤل المتمثل هنا فى قوله: «**فلماذا يقاتلنى السمك البحرى؟**» من هذه الزاوية فى الفهم، قد يكون فى غير موضعه وإن كان موحيًا بأن الفعل المضاد للسمك البحرى بمثابة نتيجة لهذه النبوءة التى تفسد عليه عربدته، غير أنه يتسق من زاوية استنتاج

آخر من حيث إن الدمار القادم (الرياح) سوف يقتلع الجميع بما فيهم الأنا الشاعرة نفسها فيصبح التساؤل هنا بمثابة استنكار لعبثية القتال بينما الدمار قادم لا محالة.

غير أن ما يهمنا هنا فى المقام الأول هو هذا «السمك البحرى» الذى يقتل شخصًا بريئًا مفعولاً به كهذه الأنا الشاعرة (يحملنى، يقابلنى) فتفصل القصيدة الأمر على أنه ليس القرش ولكنه هذا النوع من الأسماك الذى يتسلق ويشيع الفساد فى الأرض ويبيع الأوطان:

«ليس هو القرش

إنه السمك البحرى

هذا الذى يعتلى سلم الموج

يرقص فوق الصوارى

يفتح فوق الشواطئ خمّارة

ويوزع للغرباء بقية جسم الوطن».

حيث يخرج السمك البحرى بذلك من زمرة الأسماك المعروفة ويكتسب صفات إنسانية واضحة على المستوى

الســالب، تمثل الخيـانة والإفسـاد ومن هنا فـهى تطرح كعنصـر مقـابل للأنا الشاعرة الخيـرة من حيث كونها تقاتله. وهو ما يؤكد من جديد الدلالة الفنية الغنية التى يطرحها البحر: والذى يتسق على نحو عميق مع الحقل الدلالى الذى تشيعه كلمة «السمك» من حيث العدوانية والتراتبية الظالمة، وهو ما يتأكد بعد ذلك بالانتقال من كنائية البحر وأسماكه إلى مباشرة واضحة متمثلة فى أن يفتح المفسدون فوق الشواطئ خمارة وتقسيم الوطن وبيعه، وفى الجزء الأخير من القصيدة يتم الانتقال نهائيًا إلى محور أرضى كامل السمات فيصبح عذاب الأنا الشاعرة الناجمة عن سلوك «السمك البحرى» عذابًا إنسانيًا وإن كان مستعصيًا على العلاج لأن الطب لا يستطيع إدراك أنه **«مصاب بداء تفسخ هذا الوطن»**.

هكذا تفصح القصيدة عن دلالة استخدام عنصر «البحر» كعنصر دلالى يحمل صفته الأيقونية الطاغية من حيث كونه يتوازى دلاليًا ويتعادل موضوعيًا مع الواقع الذى تحياه وتعانيه الذات الشاعرة.

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بالعشق والبحر فمن المنطقى أن ينتهى الأمر إلى **الموت**، من حيث هو محصلة طبيعية لهذه الوضعية المتردية وهو ما يؤدى إلى الاغتراب والعجز، خاصة حين يلتبسان بفعل مقاوم خارج على الإجماع المتواطئ الذى يمثله الواقع. وهنا تبرز بقوة فاعلية استخدام الأقنعة، سواء أقنعة الأنبياء وبخاصة المسيح ويوسف الصديق وقناع الشعراء الصعاليك. فهو (أى الشاعر) المظلوم تاريخيًا، وهو مسجون كل البلاد لأنه الثائر فى كل البلاد، يقول فى قصيدة مواجهة:

«قالت: أى البلاد . ترى . أنت سيدها؟!

قلت: كل البلاد

أنا . فى الحقيقة . مسجونها» .

حيث تكتسب التقريرية والمباشرة هنا جمالها الخاص من خلال هذا التلاعب الإيقاعى بالكلمات والأسطر من خلال تكنيك التوازى؛ حيث إذا نظمنا السطرين الثانى

والثـالث يصبـحـان مـتـوازيين دلاليًـا مع السطر الأول ومـتـضـادين مـعًـا فى آن واحـد، مما يقـوى الدلالـة ويعـمق المعنى، يتضح ذلك من خلال الجدول التالى:

قالت	أى البلاد	- ترى -	أنت	سيدها
قلت	كل البلاد	- فى الحقيقة -	أنا	مسجونها

فمن الواضح أن صيغة السؤال المحتوية على العبارات الترجيحية مثل: «أى» «ترى»، تتقابل معها صيغة الجواب المحتوية على عبارات يقينية، مثل: كل البلاد «فى الحقيقة» وهو ما يطرح بنية هندسية وداعيًا إلى التأمل الأسيان، فهذه الفتاة التى اختطفها من سيدها تتعامل على أنه سيد سلفًا ربما لأن مظهره لا يمكن أن يكون دالاً على غير ذلك، ومن ثم يصبح جوابه دالاً على قدر من المفارقة المدهشة الداعية إلى التعاطف والشفقة اللذين هما بمثابة «تطهير» على نحـو ناتج عن هذا الوضع المأسـاوى (بالمعنى الأرسطى).

ثم يكمل هذا المعنى بنية أخرى مفارقة ومدهشة على نفس النحو، رغم الدلالة المباشرة فهو كذلك مسجون طالما أن هذه البلاد (كلها) محكومة بالطغاة والظالمين.

«طالما عسكر عسكروا فوق كل منازلها».

وهذا أمر منطقى، غير أن القيمة الحقيقية لهذا التعبير هى فى إدهاشه المتولد عن مفاجأة التبسيط المرصع بالجناس. ثم يتأكد الأمر بعد ذلك عندما يرتدى قناع الشعراء الصعاليك الخارجين على النظام البطريركى القائم على تراتبية ظالمة، متوحدًا مع قضيتهم التى كانت بمثابة ثورة اجتماعية حقيقية:

«وأنا فى جميع العصور بها

خارج عن نظام القبيلةِ

منتظر مقتلى بين تلك النجوم».

فذكره «لنظام القبيلة» يردنا إلى تقاليد العصر الجاهلى بكل إيحاءاته من الظلم والعبودية.... إلخ ، والخروج عليه

يردنا إلى تراث الشعراء الصعاليك بكل شجاعتهم ونبلهم وفصاحتهم، وهو، من ثم، ينتظر نفس مصيرهم ويخاطر نفس مخاطرتهم بأن ينتظر مقتله فى الصحراء التى لخصها فى النجوم وهو ما يوحى بأنه سائر ليلاً وهى صفة لصيقة بالمطاريد والخارجين.

وقناع الشاعر الصعلوك يستهوى شاعرنا إلى حد كبير على طول الديوان فيقول فى قصيدة «دخولاً إلى الوطن» مخاطبًا نفسه:

«احفر على صخرة الليل وجهك

فى ظلمة الليلِ

ضحكتك المشتهاه

وزع غنائم مجدك للطالعين العصاه

وكن سيداً للطغاة» .

ثم يقول بعد ذلك مباشرة وكأنه يترجم هذا المعنى ويحققه:

«صرت كل الصعاليك طرًا

فانفتح الليل بالوعد والسحرِ» .

حتى يتحقق هذا الأمر بتوحد واضح مع أحد هؤلاء الصعاليك وهو الشاعر تأبط شرًا حين يقول:

«قل له: ماذا تأبطتَ؟

قلت: تأبط شرًا» .

ثم يسلم هذا القناع بصورة تلقائية بعد ذلك إلى **قناع يوسف الصديق** عندما تتم الخديعة والهزيمة ومن ثم الموت، حيث يحل قناع جديد هو **قناع السيد المسيح** يقول:

«يا صاحبى اذكرانى عند المليك

فما ذكرانى سوى بالنميمة

حتى خرجت من السجن للصلب

والصلب صار ارتقاء».

ثم يتوحد القناعان عندما يقول:

يا صاحبى اذكرانى فوق الصليب

فما ذكرانى

ولا أقرآنى السلام

ودقا مسامير حقدهما فى الذراع».

هكذا تؤدى كل الطرق إلى الموت والاستشهاد الذى هو حصيلة الموقف النبيل المغترب فى مواجهة العالم الردىء؛ بيد أنه فى أحيانٍ أخرى نادرة لا يصبح الموت هو المحصلة الوحيدة لهذا الفعل المقاوم، بل منبئًا بثورة كالنار التى لاتبقى ولا تذر، كما فى قصيدة «خلود» عندما يصبح العسكر - كرمز للطغاة - وقودًا لهذه الثورة القادمة.

عندما يقول فى نهاية القصيدة:

«ويزداد ثقل السكون

فيضحى قنوطًا

فتشتعل النار فى موعد كالقضاءْ

فتضحى الميادين

مرقشة بالنياشين... نهر دماءْ» .

إن تجريد هذه الفئة الرامزة للقهر والسطوة فى النياشين كعنصر سيميولوجى دالّ على الزهو والكبر الممجوج، أقول إن هذا التجريد إلى جانب دلالته القوية البالغة الأثر، الناجمة عن توظيف المجاز فإنه يساعد على طرح التوازى بين كون النياشين تزين أو ترقش صدور الطغاة وبين كونها سوف ترقش الميادين كنهر من الدماء: بما يوحى بسقوطها عند اشتعال النار ـ الثورة وهو ما يجعل من عنوان القصيدة فى النهاية حاملاً لطاقة تعبيرية قوية تفجرها تلك المفارقة بين «خلود» وهو العنوان، وبين النهاية عندما تضحى الميادين مزينة بالنياشين، أو أن تكون السخرية من كون هذه النياشين سوف تخلد ولكن فى متحف الذى تجاوزهم التاريخ بعد أن تكون قد أطيح بها إلى الأرض. وقريب من هذا المعنى نجده فى قصيدة «وقفة المستحيل».

ـ ٤ ـ

هكذا تتبدى لنا رؤية العالم عند صلاح والى من خلال هذا النموذج البنيوى بعناصره الدلالية الثلاث، إنها رؤية مثقف من العالم الثالث يعانى الاغتراب ويصبح قدره أن

يواجه الخراب وحيدًا منفردًا حالمًا معتزًا بذاته. لكنه لايفلح إلا فى أن يكون شهيدًا، عبر سلسلة من القيم التعبيرية التى تلخص صيرورة الحالة الروحية من العشق إلى الجرح إلى الموت. فى بناء شعرى غنى ومتدفق، ومفعم بالدلالات والإيحاءات القوية والجميلة فى آن واحد. ورغم طغيان السردية فى أحيان قليلة كما فى قصيدة «الوتر والشفع»، ورغم عدم الاقتصاد وعدم التكثيف كما فى قصيدة «الهجير». إلا أن صلاح والى يبقى فى هذا الديوان واحدًا من شعراء مصر الكبار، الذين لازلنا ننتظر منهم الكثير.

د. صلاح السروى

الرؤيا والوطن

شعر

صلاح والى

١٩٩٠

استحالة

«من يمتلك رحمًا كرحم أمى

فليأت بى».

صلاح والى

١٩٩٠

١ ـ سفر الرؤيا

١ ـ الرؤيا
٢ ـ حوارية البدء والمنتهى
٣ ـ الرؤيا عذاب الرؤية
٤ ـ اغتيال وردة الضوء
٥ ـ الهجير
٦ ـ الخروج داخل الزمن
٧ ـ الوتر والشفع
٨ ـ وقفة المستحيل

الرؤيـــــا

وجع أتى

يحـتل روح الأرض ، سـبى قـاطع فى المهـد صـوت النسغ، صوت النث، صوت الأسئلة .

كم تهـرب الأشـجـار من ذلٍ إلى الأرض ارتيـاعًـا، يسـتكين الصوت مهموسًا، تطلع الأشجار رعبًا من شقوق الذاكرة.

جـفَّت عـروق الأرض واللغـة استـفـاقت فى انهـيـار الموت مهزومًا فأضحت طالعة.

وجع هَمَى، يحتل كل الليل من وجع أصـاب العين من لهف لأرض عامرة .

وجع أتى ينفض أوجاعًا .

ويبقى العظم مثقوبًا بعرش السوس، ممسوكًا بصمغ الموت، يدنى للحصير الجسم محترقًا بوجه الموت من أَلَمٍ أَلَمَّ بمبصرات الذاكرة.

لغتى ضياع؟! أم ترى لغة الأرض أفاقت ضائعه.

وأنا بكهف الليل مدفون ومدهون بزيت النسغ، منسيًا حروفًا ساقطات من بقايا الأسئلة.

مئة من الأعوام أضرب فى عروق الأرض، أكتب عن سلالات وأحى من رميم النفى أعراقًا وأجداثًا وأثبت فى كتاب الذاكره.

قد صار ما دونت من نقش بسفر الخلق مرفوضًا، وكف البطن تمحو ما تَخُطُّ الذاكرة.

كم صرت مسبوقًا بلام النفى محجوبًا كسلسلة من التاريخ تثبت للعبيد الحق فى وطن فتُنفى الأسئلة.

جفَّت عروق اللون فى اللغة المآذن، واستفاقت فى انهيار الموت مهزومًا وقالت لاتَبُحْ.

وأنا أقـول، أفكّ هذا القـانط الحـجـر القـديم وأسـتـعـين وأستعيذ بسورة التكوير والورد الجليل أدلّة.

وجع ويغـرس إصبع الموت الجـميل العمق فى رحم البداية، يخرج الأجداث من ليل كئيب موغل.

لغتى أذن لا تنتمى للمالكين حقيقةً

لغتى أذن للسابلةْ

وجعٌ يجىء فيمسح الدنيا من الدنيا ويُبقى الأسئلةْ .

لغتى بيان ضاع من نقش قديم ضائعٍ

لغتى سديم ضالعٌ

وأرى الرطانات البيانات الصكوك وكل أوحال الطريق السائده.

فنظرت من بين الأمانى

قلت علّى قد أرانى من ثقوب الكون أمشى فى البـلاد أقلّب الدنيـا وأحى مـزهـرات الوجـدِ، أهزج بالأغـانى والمواويل الشجية ساكبًا عـرقًا جميلاً فى شقوق الأرض، مفتونًا بما يتـواثب العـشـاق فى ألق العـيـون من اللقـاء ومـا تهلّل فى العيون من الفرحْ.

فـأتى البـدائيون يحـتلون صـدر الأرضِ، يفـترشـون مـا بين انسياب النسل والعينين يفترعون كل الذاكره .

وجعٌ جديد سوف يأتى من عظام الأرضِ

من شجر الأمانى

من حبيباتٍ بلون الطينِ

من خمر الهمومِ

يفتش التاريخَ، يخرج ما تَغَيَّبَ فى شقوق القهرِ،

ينتشل الفضاء من الفراغ

ويرجع الصوتَ، الكلامَ، الناسَ للدنيا

فترَوى الذاكرة(*)،

١٩٨٨

*

(*) نشـرت هذه القـصـيدة بمـجلة «ادب ونقـد» ١٩٩١، واذيعت بالبـرنامـج الثانى، كمـا نشرت بمجلة الطليعة الأدبية.

حوارية البدء والمنتهى

(١)

وكـان يخـوض برجليـه وسط المحـيط، يَلُمُّ السـفـائن فى راحـتيـه، ويخـرج لـلأرض يرجع للبـحـر، ينقـذ أسـمـاكـه من لهيب سيخرج من باطن الأرض يرفع أرجلها للسماءً .

ويَعلم أن البحار ستفقد أسماكها.

والعصافير تخلع أشجارها.

ويعـرف أن الصـخـور التى انفلقت بالميـاه له، سـوف تشـرب منه الدماءّ.

تكاد السماوات يتفطرنَ .

وتنشق تلك الأراضين شقًا.

وتخرُّ الجبال على هذه الأرض هدًا.

قال أزرع حبات قلبى ليوم يجىء.

فقلت له صارخًا لا وقت، لا أين، لا شىء، غدًا سجادة الأرض تطوى رويدًا رويدا.

(تؤرشف) فى ملكوت لها.

وأنت بها نامةٌ، نقطةٌ، والبلاد قد انطبعت فى نسيج من الرعب قد أذهلت كل مرضعة عن وليد لها وانتشى السُّكر يسرق لب الفؤاد على سكينة الشدِّ والخوف هذا أوان الوعيدْ.

قال أعرفه عاشقًا مبدءًا ومعيدًا .

أعرفه فاردًا ملء ـ كل التصور ـ كفيه لى رحمةً واصطفاء، سيجلسنى جنبه ثم يقرؤنى الفاتحة.

ويدلى على كتفىَّ عناقيد من فضةٍ، وبناتٍ من الحور يحملن باطية من خمور لنا، وينادى عليهن، هذا متاع لَكُنَّ.

قلتُ، توهمتَ وهمًا وهمْتَ به هاربًا فى تهاويم من شدة الوهج والرعب.

اهجع قليلاً وخذ هدأة من هبات العقول ليَبْعُدَ عنكَ الهياجُ كثيرًا، وقلت اتئدْ.

قال لمن أنبتُ الوردَ فى القلب والأرض مجدورة بالعداوات والقبح والرفض لم يبق باقٍ يلف عباءته فوق جرحى.

فَأُلْبِسْتُ ليلاً قميصًا.

وأُدْلجتُ فيه خميصًا.

ليس مَن صاحب أصطفيه لذاتى، ليس من صاحب يصطفينى، قلت هو البدء هذا أوان الزوال، هو البدء فى قمة الاكتمال، زانت الأرض أطرافها وازدهت لم يعد باقيًا غير نبض الزوال.

قلت كن.

مثل قبض الأصابع فى راحة الكفِّ كان، سجادةُ الأرض تطوى رويدًا رويدا.

أعاصير من لجة الكون أم جنة مَسَّها عاصفٌ.

والبحر والنهر سيفٌ يحطمه الاحتمالْ.

والعصافير من هدأة العش والقش للركض خلف حدود المكان وخلف المحال.

طُويتْ صفحة الكون، وانقشعتْ سجادةُ الخلق، وابتدأت آية الابتهالْ.

هنا انتظم العقد من زهرة وبنفسج من فلةٍ وجمانْ.

تقدمتَ وانتظم النسج فارتفعتْ فى السماء ملائكةٌ ودعاءْ.

ولكنه الدم يرشح من قبة يتنزل فوق مشارفها شهداءْ.

(٢)

أمد الأصابع أفتقُ ما بين ماء وما بين قوس قزحْ،

فتخرج فى التَّو - لى - قبَّةٌ من ضياء وشيئًا بحجم الكرهْ،

قبة للضياء تمد أصابعها فى عيون الضباب فتفقأها بعيون الرصاصِ، فيسَّاقط الآن قلبى .

على راحتى وردةٌ من أديم وماءْ.

أشكِّله نغمةً وحمامًا كثيفًا وطيرًا بلون الحقيقة والاشتياقْ.

ولونين من أحمرٍ وانعتاقْ.

ولون به خضرة وانذياح الضياءْ.

ولون به زرقة البحر والنهر والافتراقْ .

وعينان من عسل واحورارْ .

وعشر قبابٍ من الضوء مثقوبة باشتهاء النهارْ.

وخيطين من نغمةٍ من قرارِ القرارْ.

وناديته لم يعد حاضرًا فى الرؤى.

لم يعد باقيًا فى الزوالْ.

قلتُ عُدْ.

لم يعد.

نزلت إلى الماء فى جدولٍ تحت أشجار لوز وتين، فمال من اللوز وردٌ فأفردت روحى له قُبلةً.

فانتشى كالمحبينَ.

واسَّاقط الفور ما بين كفيًّا عشقًا وتينا.

فأخصبته وحدتى.

فانتشى سابحًا فوق سطح المياه تفرَّدَ فى العشق مثلى.

فضجَّ الضياء له

غَنَّت الماء أغنيةَ العاشقينا.

وكم كان قلبى على دهشةٍ،

يخرج الآن من زهرة اللوز فوج المحبينا.

ينتشرون على الماء للماء، لكننى قلتُ لابد للعاشقين البساتينا.

لكنه لم يكن غير ذاتى بستانهم.

(٣)

لفَّت الأرض سيرتها واستحالت سدى.

والبحر والنهر ماءٌ وما كان شىء عليه استوى.

والشمس والنجم فى كلمة المنتهى.

غلف الكون - كون السديم - سدى.

كنت أصدرته فاهتدى.

ثم شقَّ عصاه وماج وزلَّ وقد كنتُ أبصرته قد عصى وغوى.

يا لهذا الفناء سنبدأ ما كان إنَّا نهيب به لا يكون كما كان فى سالفٍ قد مضى.

صرختُ به أين أنت ؟

وكان على عرشه سابحًا وحيدًا ولا شىء حتى الصدى.

يدور بدوامة الفزع المستقر ولا شىء غير الضباب فلا كان منه استواءٌ ولا كان منه مدى.

أقلِّب قلبى فلا يمسك القَلبَ عقلٌ.

أقلِّبه بين راحة قلبى وراحة شكى

وأفرطه فى الفراغ سدى.

كلما سقطتْ قطرة، أحدثت ضجة.

ربما كان صوت زفيرٍ وصوت هديرٍ وصوت ألمّ.

واستوى الماء تحت الضباب رصاص، والأرض واقفة فى حزام الضياء

فأطلقتها للهواءً.

فدارت على صفحة الماء راقصةً، فاحتواها المحبون.

غنَّوا لها فانتشت.

وغنت لهم فانتشيت.

ولكن قلبى تلهى بحزن وسال من الصدر وجدٌ وشقَّ عصا الطاعة الأشقياءُ.

وزمَّ الجبين السماع المفاجئ للدمع.

فقلتُ الشياطين مرجومة بالشهب، مصعوقة باللهب.

وكان على البعد حقلٌ من الليل ينبتُ أزهاره فتنة، وأحاديث لفَّقها السادرون فسالتْ دماءً.

فكان انتهاء(*).

١٩٨٧

*

(*) نشرت هذه القصيدة بجريدة القادسية ١٩٨٨، كما نشرت بتونس ١٩٨٩ .

الرؤيا عذاب الرؤية

* قد أكون أنا !!

فلماذا ألبِّى نداءات بالليل غامضةً تهمسُ الآن لى ؟!

ثم أترك دفء البيوت وأنزل فى عتمة الليل أرنو لأشيائه الغامضة

والتى لا تبينّ.

ثم أرنو إلى نقطة سوف تومضُ وسط المتاهةْ.

كأنى بها أتَّقيها وحين ألتقيها تفارقنى قبل أن أمسك الضوء فيها.

لماذا أنا هكذا ؟!

ولم لا أكون كغيرى ؟

وكيف تسافر هذى البلادُ وتتركنى ؟

إنهـا ثَيِّبٌ وأفضٌّ بكارتهـا كل يومٍ، ويجـمـعنا الليل تحت شموس الظهيرة نحو فراق غريب.

ثم أين التى سافرتْ فى دمى، وأعدّتُ تخلُّقها من محاجر عينىَّ.

أين التى انتزعتْ نفسها بالدماءِ ، ومن مسكِ هذى الظباءِ ومن مدلجٍ غامضٍ فى الظلام، ومن وردة فى السماء، ومن سورة النورِ والظل من قصة الأنبياء ومن سورةٍ للنساء ؟.

قد تخلَّفتْ الآن فى ملتقى البحر بالنهر تنتظر الحوت يخرج من وجْدِها بالدماء فهل تنظرُ الآن عبدًا لنا صالحًا، ثم تضحكُ من دمها وتَصَكُّ على وجهها. ومن الوجع الحلو والألم الرخو تنتظر الأنبياءَ، وأين وليدٌ لنا ناطقٌ قبل يوم السبوع يبشر بالعدل يغسل أرواحهم ويخلص أرواحنا بالبكاء ؟.

• فلقد ضاع من حذر وأنا أجمع القطن أطحن قمح الحقيقة أفصلُ عنه الركاكة أُبقى عليه النقاءَ، وأنسجُ

ثوبَ الخلاص رغيفَ الحقيقة أُبقى الثياب عليه مجللةً بالبكاءْ.

* انقضْ الغَزْلَ يا سيدى

انظرْ الشمسَ يا سيدى

انظر الشمس حتى يَتمَّ من الهدم كُلُّ البناء، فما النار والروض إلاَّ جحيمان فى من يهدده العشقُ دومًا ويتبعه الوجد بين البقاء وبين الفناءْ.

• .... وتعذبتُ حتى تطاولتْ الروح بالصبر وانقشعتْ لجُّةُ العين عن بؤبؤ صامتٍ لا يَرَى.

ودخلتُ إلى النفس أنزل مرتعبًا صامتًا.

وأصالحها بالذى كان يا صاحبى.....

لم تَبُحْ

منذ قرنين لم تُسلمُ الروحُ لى نفسها

وأنا صامتٌ

والقناديل فى مهجة الروح مجهدةٌ

هل ترى الزيت أوشَكَ أو شَكَّ مما يحيط بها من رداء،

فهل فاضتْ الروحُ عن قالب الطين وارتحلتْ ؟

ثُم الزمت الزيتَ فى عمقها بالبقاءْ

فخلاصة ما يُرتجى إن نجا هالكُ أن تقولَ أنا الآن لكْ

قد تيقَّنتُ من وحدتى

جف زيت القناديل والعين سدَّدَها البينُ منذ دهورْ

* افزعْ الآن للروح ياسيدى

● إنها هجرتْ قالب الطين من فرسخٍ

ليتنى أقرأ الآن قاطبةً

أتهجى الرسوم فتبقى مقطعة

(... وفدينـاك للسـعى لا تنشـغلْ بـالذى هو أدنى. ولا تُطفئ القلب بالشجو إلا إذا برَّحَ الوجدُ واقتعدَ الحزنُ بين الضلوع. ولا ترتكنْ للسكون إلى سدَّة اليـأس. أطلقْ عقـالَكْ. لا تُلزمْ العقلَ بالعقلِ. ألزمه بالوجد والبوحِ واصمت...... تر.)

البساتين مهجورة والميادين مشغولةٌ

وأنا ضالع فى الغياب ومفتتنٌ بالنساء ومعتقل فى الشجرْ

ثم قلتُ أبصُّ عليهم لعلِّى أرانى، رأيتُ البـلاد تودع أبناءها

والبحار تطاردهم فى الشوارع والملح منتصب بالسلاحِ

وأشجارَنا قد علاها المشيب .....

...... قد تغضنت الأرض من هرمٍ

والشقوقُ بها ساكنٌ لا يبينْ

ثم ما بالها الأرض كفَّتْ

والسماوات جفَّتْ

والنساء تشيَّعن للهالك المستفزِّ وألقين أحمالهن من الفرح

فى النهرِ والنهرُ غاض وآض دماءْ

فتصبرتُ.... جفت من الروح حنظلةٌ

واللسان التوى من علاقمِهِ

وأنا باسطٌ فى الظهيرة من ألمٍ ساعدى

سائلاً فوق عينىَّ ينضحُ من جبهتى الزيتُ، والأرض تبرق

تحت السماء سرابًا

وما كنتُ للمـاء مسترحمًا من لهيب وقيظٍ، وما كنت منتزعًا للبكاء فقد جفَّ ما جفَّ ياصاحبى

* قد تجاوزتَ ياسيدى

● كم أود على عـجل أن أرى زهـرة القـلب تحـفـر فى الـطين جذرًا قويًا وأمنًا يُخَلِّقُ وجهَ الصباح الجميلْ

*لا تصـــرح بحلمك فـــالأرض تلبس من دمك الآن أحلى ملابسها ثم تنظر للماء تنتظر الوقتَ، والهدهدُ الآن لاَن ولا عــاد يُلقى إليك الخطاب ولا راحلٌ لليَـمَنْ ، ثم هـل يمـلك الكلبُ ســر الذين من الظلم ســاروا إلـى الظلمــةِ ولم أنت صرت نبيًا؟!

هل الناس فى الأرض حتى تَمدَّ رسالتَك الآن فيهم ؟

احمل الحلم لكن تجلى بما تستطيع

١٩٨٨م

*

(*) نشرت هذه القصيدة بـ «مجلة الكاتب العربى» العدد (٢٦) ١٩٩٠ .

اغتيـــال وردة الضـــوء

(١)

انحنى الضوء فى شرفة الليل فوق الجسدْ

فارشًا نغمًا من عبير التمزق، والبهجة النرجسية، والـ ...

فيما انبعاج الحليبِ ؟!

استدارات أسراره.. ؟!

انحناءات أشكاله وردة ؟!

وردةً فتنةً

تتوازى الوريقات فى وهج من عرقْ ،

وتسيل على العرى فى تعبٍ

يالهذى الجراح أنا قاتلٌ،

أنا قاتل يا صغيرة قلبى ،

وهذى الدماء شهودى، ألا فاشهدى المشهدا ،

وردى وريقاتك المنهكات قليلاً قليلا

ولا تطعنينى بهذه الشفاة لئلا أكون القتيلا ،

قليل من الرحمة البكرِ

إنى انتهيت إلى شاطئ الليلِ

أوقفنى الليلُ

من ؟

أنا قاتلٌ .

من ؟!

أنا عاشقٌ

قال تبدو القتيلا

قليلاً من الصبر يا فتنتى، للذى أغويتِ

فى الحب جنبيه لا واحدٌ ،

من ترى يستبيح له جسد الأرض ؟!

نهرب من عارنا

نستبيح لنا جسداً من شغاف القلوبِ

لنهزم عارًا بعارْ

أى هذا الجدار

لماذا صمت الست الذى شهد الحادثات وقال ؟!

(٢)

انحنى الضوء ثانية واستدار

فاستدار الجسد

اعوجاج من العاج، أم قبة من حليب ووردٍ

ونام على صدره عرقٌ ،

وزبيب الكروم الذى قد تدلى عليه انهمار من الليلِ

يا شعرها السنبلات التى خزنت فى صوامعها

منذ سبعين عاما

فقالت تقدم

قلت (حاشا لله) كيف يكون الطعان

انحنى الضوء ثانية واستدارْ

وأنا ضائع بين دهشة قلبى وبين النزالِ

وأنا غارق فى انهمار الضياء شعاعًا شعاعًا على

عتبات الزجاج

تسرب ثانية وانتشرْ

إنها الفتنات تنام فلا توقظ القلبَ

إن المحيط غريق، ولا يوصف الموج بالأقحوان .

(٣)

قلت فلاقترب

تعاليت هذا الجمال وهذا الجلال

أنا بضع ضعف تكسر صوتى ووجهى بكل مرايا الجسد

أنا لامسٌ كل هذا الضياءْ

قيل إياك والاحتراقْ

فقالت تقدم

. . . . .

وأولمت للضوء روحى

تحسست فى لهفة المستحيل، انحناءات هذا الوهج

استدارات ذاك الرهج

جراحات هذا المكان

فأورق فى إبطى الشجر

وضجت عصافيرها الخضر، واتسعت قبة من عقيقٍ

فقلت فتيلك لست العتيق

تبسمت الشفتان قليلاً قليلا

وضاء النهار علىّ، إذا الجفن خاصم جفنًا ثقيلا

وجاء الفرح

فأفرخ فى القلب عشر طيور من الضوء

وانبعثت نغمة من قرار البحور التى قتلت عاشقيها

جواب الجواب تُرى ؟!

أم قرار القرار هى ؟!

إنها جوقة ،

فامسكْ القلب كى لا يذوب ويسقط فى المهلكات طويلا

وكنت أفكر كيف الهرب ؟

فقامت ومالت ومدت أصابعها

يالهذى الشموع التى انتثرت فضة ثم عاج .

إنها فتنة .

بكأس من الخمر ما بينها إلهى

لى أنا ؟!

. . . . . .

فناديت ، جاءت

هى الآن ما بين فاكهة وحشايا

ومدت تكايا

وحوَّم طير الذراعين نحوى، وحاصرنى فى الحنايا

أنا قادم **ليس من مهرب غير أن أحترق**

فاحترقت

وصار المدى بهجة

فانتشيت

وكنت ارتشيت **رشوة فوق ما تبتغونى من الحب**

.....

من يولم اليوم قلبًا كقلبى

وأدخلن عشرا

ويلبسن ما لا ترى العين (نعم اللباس ونعم الجمال)

وغنين لى

أنا عازف عن سماع الغناء

توجهت فى ثقة للضياء

وقلت إله الضياء

أنا واثق أن نذرى تدلى بنجوم المرشوصين قبلت

وصار على جبهة الخلد نعم القلادةْ...

أريد الغناء من المتعبة **وقد كنت فى تعبى مبتهج**

فقامت ، صرختُ **وكن انصرفن**

أريدك أنت

وجاءت

فصار المدى أغنيات

وكنت على كتف الحب ، فوقى سلال من الضوء

تحتى انبعاج له شهوة وحريق

فرفرف قلبى

هو الحزن يدخل قلبى وقت انتشاء الفرح

وكانت قوافل من عنبر وعقيق ونار تمر على شفتى

ـ لأين ؟

ـ إليك

فقلت الحريق ابتدا

وصار الحريق بعرض المدى

(٤)

دارت الأرض دورتها وارتأتنى

وكنت أعيد استدارتها، وانبعاج اللجين

أشكِّلها مرة عاشرة

سأعيدك للخلق فى اللغة الأولى

ثم أكتب الآن للمرة العاشرة

ثلاث من الطرق فى بابها

مالها لا تجيب ؟!

هكذا يستوى الرأس فوق العنق

ـ ثم طرق على الباب ـ

لسنا هنا، إننا فى العنق **(فى العناق)**

صار وجهك بدر التمام

ترى أين روحى ؟!

عند سرتها ... استدار المساء لنا

انبرى الطرق فوق مخادعها مرة ثانية

ـ امنحونى من الآن كوكبة الوقت عشر سنين

(ما مضى قد يسويه غيرى)

غير أن الذى سوف يأتى سيكمل دورته فى الغياب

قال قم

فاستدرت رأيت الحشائش والشوك حولى

وفاتتى متداخلة فى دماى

قلت هذا انتهاك لخلوة محبوبتى

قال أفسدت أعرافنا، يرشح العشق من بابها ،

وطيور من الوجد والشوق تملأ كل الشوارع

قلت يفعلن مثل الذى أفعل

وردتى الآن سويتها من دمى

لم يعد باقيًا غير فتق تولدها

لم يقل إنما صفد القلب، وسدّنا فى وشاح لها واستدار

وشاء وسار

فانبرى الضوء ثانية

فاستدار الظلام له

وأحكم قبضته

فانتهينا

ا ن ت هـ ى

الخلق

ا ن ت هـ ى

الضوء

ا ن ت

هـ ى ن ا (*).

*

(*) نشرت هذه القصيدة بـ «مجلة الكاتب العربى» عام ١٩٨٨ .

الهـــــجير

ويحاور الأزمان قاطبة ويمعن فى الدخول ولا يقول .

أبدًا يطوِّفُ حولنا يبغى الوصول .

كفراشة أبدًا على النيران أشواقًا تحوم.

قلنا فَراشٌ، ثم حاصرنا نيامًا من بداية ما يكون النصب

للماضى سدىً فيعاود المفعول

إيقاع الطبول .

مَلِكٌ تملَّك حولنا وكأننا صرنا حوارييه فى الزمن الخراب.

يمتد سيف الوقت مندهشًا فيقسمنا فنصبح مثلما شجر

من التنين منقسمًا بنار الغيبِ

يبدأ سورة التكوين آلافًا نكون وندهش الخلق البدائى

الحزين بما تعالى

من جمال المزج

والتكوين والدنيا سراب .

تتعلل الأشياء ترجف إليتاها كالوجيب بساعة الإخصاب ،

فى عمق السكون .

وتهلُّ نغمتها كما الريحان والأفيون منسدلاً عليها رقَّة

والعين تلمع تارة

وتروح تغرق فى

تهاويم المنام، كألف طفل نائم قد خضه نغم من الفردوس

فارتعشت له غمازتاه بما تعالى

من وجيب الدم فى أفق الشباب .

مدتْ إلى الأعلى طيور الضوء أعناقًا وعانقها اضطراب .

علقتُ ثوبى فوق أكتافى وخاصمنى اضطراب .

خمش بأعلى الظهر فى الكتفين يبدو واضحًا وكأننى قد

سرت وسط المشرعات من الحراب ،

من النساء القابضات الحافرات بلحم كتفى وردة وخضاب.

ولبست أزرارى فما بالزر تُستر فى لسان الناس، أخبار،
ورائحة الخيول تهل أمواجًا برائحة العبير المسك ثيالاً على
جسد من الأفيون يشعلنى اشتعال.

زررت أحزانى وداويت الجراح بمر أوجاعى، وقلت أسير من
بلد إلى بلد لعلى ألتقى يومًا

بصاحبتى ويرجع حلمى المقتول والدنيا محال .

يا زهور النورس البحرى ما أخفيت أحزانى فماذا فى
الجراب.

لا تتركونى سائرًا فى دغل أحزانى ومفتتحًا أمام الوجد
بابًا بعد باب.

لو أننى الأزهار من عبق البنفسج نرجسًا لعجبت إن هجرت
أسنتها الرماح وخاصمتها فى أراضيها التحية والعذاب.

قـد كنت منسـدلاً بعين الشـمس أمنيـة وضـوءًا أبيـضًـا فسقطت فوق زجاج دنياكم شعاعًا مجهضًا وتفرقت فى داخلى الألوان دمعًا واغتصاب .

متدفقًا بالوجد مندسًا بنار الحزن ممزوجًا بنبض الخوف من لا شىء أعرفه تسلمت الكتاب .

ـ لست أدرى هل تسلمناه باليمنى أو اليسرى ـ ولكن قد تسلمت الكتاب.

فى أول الصفحات إعصار وإنذار وسيف شامخ فرد، وجملة أحرف هربت، وفاصلتين

والمعنى توارى بالحجاب .

نورٌ ونفحة عاشق، طيب وقلبى هالعٌ هلعًا وأنهار من الإنشاد خاصمها الجواب.

قد كنت مكتئبًا فلا صحبي أتوا أو صاحباتى جئننى، قلبى يعاوده الشموخ ويلتوى من خمرة الأعناب برق واغتصاب.
أنسيتِ وجه حبيبتى ففردت كفى وشمها نبض الأصابع باليدين.

وحاجباها نون نسوة والعيون لهذه الصحراء ماء وانتساب.

لِمَ لمْ تجئنى كى تدثرنى براحتها وتمنحنى ارتخاء الظل فى الأرض اليباب.

مدِّى ضفائرك الطوال خذينى من هذا المدى الصحراء شدينى إلى زمان الإياب.

لا تبخلى بالفىء إن الفم مرٌّ علقم، والعاديات تحاورت شبقًا لقتلى بين عصفورين عند نهاية الضوء الملون بالسكون وبالظلام ورعشة فى الفجر طاعنة بقلب النهد فاجأه الصباح، تعددت فى عريه الأسباب آلافا تكون، وتوحدت فى مقتلى الأسباب لا أحدًا يبوح.

وأرانى مقتولاً بعيدًا عن بلاد حبيبتى شلوًا تمزق فى مضارب هذه الأعراب لا أحدًا ينوح.

لا الموت يرحمنى ولا أحدًا يمر يصرنى أبدًا بضاعة.

وللعزيز بمصر أولاد وإن قالوا عقيم.

قد صرت كافركم وأخفى دائمًا فى الماء وجهى مثلما ماء

بماء، كالنار مغتريًا بقلب الماء أحلام وصمت.

يا من يرانى فى دماه مجللاً بالوحدة العنقاء ملفوفًا بأشعار الكميت[١] .

والغربة الشوهاء تفترس القليب بألف ناب.

والريح أبرد ما تكون الريح فى الأرض الخراب.

فكأنهم من حجر أمك أيقظوك فجاءةً من دفئها فتحت عليك الرياح فورًا ألف باب.

لا الثوب يحمينى وظفر الغربة الحمقاء قَدّ قَدّ الثياب.

هل من يرد حبيبتى ثوبى؟ شبعت حقيقة من هذه الدنيا اغتراب.

فكأنها ظلٌ يحاورنى ويمنعنى الصمود، ويختفى فى لحظة الإمساك يمعن فى الغياب.

(*) الكميت: هو الكميت بن زيد بن خنيس الذى هجا بنى أمية، وأول من كتب الهاشميات.

ضوء تسرب من أصابع راحتى، قدر عليك تموت مفتتحًا أمامك ألف باب.

تتساقط الأشياء تمعن فى الأفول، تردد الأشعار، تزرع فى الهواء شجيرة وتبيت تحلم بالصحاب.

أرض خراب وأنت سيف شامخ فرد، وقد شملتك فى ضوءين أحلام وبرق واغتراب.

والسماء لديك عوراء بعين الشمس واحدة، ورمداء ويأكلها الذباب.

قل ما الذى أغرى بك الدنيا التى لاتنتشى أبدًا ولو غنى على أنغامنا زرياب والألحان أرواحًا تموت.

ما الذى يغرى بك الأشجار والأحبار والأوراق والأعناب والدنيا صدود ؟

أبدًا تظل تعيش ملتحفًا بأسئلة وظفر الموت خلفك لاهثًا، جاءت منيتك الأخيرة، ربما اختلفت عليك بقية الأسباب فى زمن جحود.

وتساءلوا حسدًا يعيش !! وكيف ؟! كيف يمعن فى الحضور كأنما من شاطئين أتيت موفورًا بعمر الضوء، معتمرًا بماء النيل، ممتزجًا بملح البحر مشمولاً بنار الخلد تخرج شاهرًا عـمـرًا قـصـيـرًا فى وجـوه الكافـرين بأرض مكة ضـاحكًا وتسبب الأسباب لا تنوى القعود.

وحدى غـريب يا بلاد أحـبهـا، وأمـوات ملفـوفًا بنار الكفـر، مندهشًا بعمق الجرح أبقى نازفًا أبدًا ومندسًا هناك بفجوة المحراب نارًا أو جحود (*).

١٩٨٨

*

(*) نشرت هذه القصيدة بجريدة الجمهورية العراقية عام ١٩٨٨، كما نشرت بمجلة الثقافة الجديدة عام ١٩٩٠ .

الخـروج داخـل الزمــن

(١)

(فـرد)

أتى آخر الضوء يسألنى العافية

قلت من أنت ؟

قال: أدفن نعشى بعافية فيك

لا حكم ترفضه أو تساومه

إنه الحادثات توالت وتلك هى النازلة.

صرت حزن الزمان مضى أو أتى.

ومتشحًا بالسواد، ومرتكبًا فعلتى الفاضحة /

قال الذى يتلفت

ماله سلّةُ حزن فقد أبيه

وما خلتهُ طالعًا فى الصباح إلى الموت

قلت قد جرب الموت فعلته فَىّ فانقلبتْ عافية

قال: من يراهنه مرة

إنه ألف مرة راهن بالحزن واكتسح الطاولة

إنه حزن دهر تمدد فوق العصور، فناخت به،

واللواتى تلمسن أذرعه

شدّهن من الوجد ما شدّد الشدّ فيه .

فقالت محدثه للتى جاورتها

إنه الموت من وهجة العشق أم ؟

فتمتمت الثانية إنه

(٢)

(المدينة)

(أيها الساقى إليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همت فى غرته

وشربت الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه واتكا

وسقانى أربعًا فى أربع)

علهم يضحكون، يصكون كأسًا بكأس

فتنمو مباهجهم.

تنبت الآن أزهارهم ـ حنطة الوقت ـ

لكنها تسقط الفور عند تفرقهم ثانية.

وحين دخلتُ عليهم، قال الذى يتلفت

(حاشا لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم)

فاتخذت من البارِ متكأً

وفرشت ملاءات حزنى على الطاولة

فنما عشب حزنى بين مفاصلهم، وارتخت بهجة

عند باب وسائدهم؛ فتمدد حتى تلفعت الطاولات به

فأداروا الرءوس إلى الجهة الثانية

قلت إنى محاصركم

فانبرى نادل البار، خذ هذه للمساء

قلت جَرِّبْ مذاق الذى أغرق الطاولات ،

ولا تسأل الآن من علم الحزن عن حزنه

اسأل الطاولة

فتعالى الهسيس من العيس حيث أتت مقبلة

إننا راحلون

فأوشكت أن أترجل عن جلستى

فشكى رجل بالمدينة، أن الفتاة التى انتحرت

ليلة الحزن، كانت تقابله مرة ثالثة .

قلت واحدة ،

إنها أم هذا الحجيج، وأن الذين يحسون نار اللظى سوف يأتون فى مجمل الوقت، يدخرون أحزانهم ويموتون من ألم: امنح العافية

قالت امرأة ناضجة، علَّهم يخرجون من اليم

للبر

قلت على البر منتظر

قال الذى نادم العيس فى القاحلة

ترجل نجم من الفلك هيا

ترجلت عن مقعدى واقتعدت الجمال

فقد يبرق الآن برق بذاكرتى يمنح الوقت

أسماءه، ويبارك أحفاده

فأنا راحل للفلاة

فهل تقبل العافية ؟!

(٣)(*)

الصحراء	**(استنهاض)**
يا جبال تخفين فى حبه	**أى هذى الجبال أنا عاشق**
وامنحى القلب أحزانه	**أوبى رددى رجع هذا النشيد**

(*) فى هذا المقطع اللحن يتردد ممتزجاً افقياً وراسياً.

إنه قادم من بلاد الجرانيت والنيل **أنا ملك عاشق**

مندفع فى الصحارى **نعم هذا الغناء**

يجدول أبوابها **نعم هذا النشيد**

ويفتح أرجاءها خضرة **نعم هذا الصدى**

فادخلوا النار، لا تدخلوا مصر **يقضم القلب أظفاره خشية**

ليس لغير المحبين أن يدخلوها **ويضم أصابعه لهفة**

وليس سؤال نجيب عليه الذين مدى العمر

قد أوجعوها **ويفتح شدقيه يصرخ أحزانه**

أوبى، أوبى، أوبى، أوبى

تثقب القلب أحزانه ...

ثقب القلب أحزانه

(٤)

(ترتيل)

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

أفإن متَّ فهم الخالدون)

إن هذا الذى يتسجى على أمه الأرض

بعض يعود إليها

وقبضة ضوء تنير الطريق لديها

وقطعة ماس تمد أصابعها فى يديها

وفرحة عمر تدق مدى العمر خوفًا عليها

فلا تهنوا مرة

وارفعوا الرأس للمرة العاشرة(*).

١٩٨٧

*

(*) نشرت هذه القصيدة بمجلة الكفاح . ليبيا ١٩٨٧، كما نشرت بمجلة «الثقافة الجديدة» عام ١٩٩١ .

الوتر والشفع

ولقد نزلت بشاطئ متلفتًا متغربًا كل العيون عليك تلقفك العيون إلى الأنوف تشم رائحة الجسد.

وتقول قد لا يعرفون.

ارحل فأرض الله واسعة.

نزلت السهل والألاء تصرخ عد، وضيقة عليك الأرض، أين تكون نزوتك الأخيرة يا سجين القالب الطينى ؟

أين المهرب الأزلى من ذاك السؤال ؟

هذى السموات العلى، والأرض هل من مهرب ؟!

هذى التخوم تحرَّقت شوقًا إليك، فلا تزرها قد تصكّ

الأرض وجهك بالحجارة والمياه، وتحرض السفهاء، تغرى

بعض أطفال وقديسين بالتكفير والتجريم تصبح مضغة ما بين أفواه العراه...

ـ هم زهر قلبى إننى أولى بهم

ولهم حجيم القلب روضته لهم

ليست نهاية حبهم، فهى البداية والجوى

ـ هم لا يودون اللجوء إليك فارحل إنهم متبرءون ،

قد صرت رائحة وطلع النخل يفضح فيك عشقك للرجال وللنساء، ولا تقل سُدّ الطريق عليك

ما انفتح الطريق لعاشق إلاك، لكن للجحيم ،

فلا تزر متقلبًا يغريك بالشهد المقطر بالسموم، ويبتليك بحسن قلبك، يجتبيك لآخر الدنيا طعامًا للشرك.

اقفل على القلب الحسك .

وامسح مدامعك التى تغرى النساء إذا اتسق .

حزن وما فضحت يمينك فى الغسق .

واصمت وبح أنت العليم بما سبق .

النار تـأكل نهـر أغنيـة، وأنت حجـيم أغنية ومـا غنيت لكن يعرفون وصرخت من حزن عليك أهذه الطرق الكثيـرة كلها ستؤدى حتمًا للشركْ .

المركب الخـشبى يعـرف من تكون، وقـد تنازع أن يعـود وأن يكون معاندًا للمستحيل فلم يعد المُلك لكْ

لكنها الأمواج أرداف النساء تأوَّدت فى المنزلقْ .

فرددت أغنية بقلبك للمياه وأشرقت بالمشتركْ .

وكتبت أغنية على رمل الجزيرةفامَّحت والويل لك.

فصرختَ أنك يا بلاد أحب أرض الله لى لكن ليلك قد حلكْ

فلما تعود وكل أحجار الجزيرة تعرفكْ

أنت الذى قلب الحجارة، سفه الأصنام، كسَّر رأس قائدهم معًا وصرخت هل من معترضْ ،

إياه يفعل ما يريد وإننى بهموا أهد وأعتركْ .

فتلفتت كل العمائم تبتغيك

وصوَّخت كل النساء وصرَّحت أن البطون حوامل

يا كـافرًا بـاللات والصنم القـديم وهـاتكًا حـرم الخبـاء وناشـرًا ضوء الغسقْ

أقلقت جلسة قاتليك فأدمنت كل الضحايا مسلكك .

فلما تعود؟ وقد تسربلت العداوة فى ثياب الناس تنتظر الرجوع وأقسمت أن تقتلك .

سنموت من الحزن عليك .

ألست تعرف أننا ضدان فى جسد هلك .

فادخل إلى السيف المشَرَّع وأعطه عنقًا وسوف نموت من حزن عليك

أأنت أكرم أم تُرى ابن البتول؟! ألم يمت يومًا ومتنا بضع أيام عليه مدامعًا ؟

فادخل إلى جسد الرمال مضمخًا بدماء من حزنوا عليك فتلك سنتنا وهذا فرضنا شفع

وأنت الوتر فينا منفرد(*).

١٩٨٨

*

(*) نشرت هذه القصيدة بجريدة القادسية عام ١٩٨٨، كما نشرت فى كتابات معاصرة، العدد العاشر.

وقفة المستحيل

انظروا

ذى مساحات من أسود غامض

أم جلابيب من نسوة فى ثياب الحداد

أم ترى عورة الأرض سافرة، بعد جذّ النباتات من صدرنا

أم ترى جثة الكون نافقة فى سديم التشاؤم

عمّ بهم البؤس بعد الشواء ؟

ثم حدّق بها لحظة

إنها توغل الآن فى المشى ثانية

تكبر الآن هيئتهم

إنها أرءوس تتخطى أهلتها باتجاه الحقول

وأنا سادر فى ذهول

تكبر الآن تسعى بنقصانها كالهلال

إلى جهة لم نكن بالغيها

إنها تخرج الآن !! أو

إنها انفجرت فجأة من خراب

كل هذى الملايين تسعى خطًا فى بلاد اليعاريب مثل جناح الغراب

إنه أول الموت فاستعصمى بدمى

إنها لجة الوقت لا يتساوى بها الأسود الآن بالأبيض المستحيل .

انهضى من جحيم التأرجح ما بين

لا شىء يعصمك الآن غير دمى

إنه فاصل الوقت فاستمسكى بالجذور

وشقى تراب القبور

وهزِّى إليك المَدَى

وأخرجى من شرايين بيتك أولادنا

إنها وقفة واحدة

وقفة للمَدَى

فى ثياب الردى

ظهرنا للمُدى

صدرنا للجحيم

ليس من ثابت غير هذا الهواء الأخير(*).

١٩٨٨م

*

(*) نشرت هذه القصيدة بمجلة القاهرة فى نوفمبر ١٩٨٩، كما اذيعت بالبرنامج الثانى بالإذاعة.

٢ـ كتاب الوطن

١ ـ دخولاً إلى الوطن

٢ ـ ولادة

٣ ـ على المقهى

٤ ـ اغتصاب

٥ ـ خلـــود

٦ ـ علاقة

٧ ـ وطن

٨ ـ أوان القطاف

٩ ـ قصيدة من العالم الثالث

١٠ ـ مواجهة

١١ ـ أغنيات

١٢ ـ انفجار

دخولاً إلى الوطن
الموت والعشق

(١)

كان وجه الهلالِ

مبارزة بين خصمين

والجوع يحكم

والقلب يشهد ما استتد العدل يوما

على بوابة الحاكمين

ـ احفر على صخرة الليل وجهك

فى ظلمة الليلِ

ضحكتك المشتهاه

وزع غنائم مجدك للطالعين العصاه

وكن سيدًا للطغاه

ـ صرت كل الصعاليك طرًا

فانفتح الليل بالوعد والسحرِ

فى ثلثه المتأخر جاء لنا الوعد

والوعد قد أجهدته المواعيد

* * *

كان وجه العشيقة يتصبب بالخمر

أرشفه قطرةً قطرةً

ـ اشرب دمى

أرشف الخمر والوجه يخرج من شرفة الحلم بالوعد

يطلع من جدول الأخضر المتلألئ بالدم

يخرج من حوزة الأصفر المتحرك نحو الدمار

فيوقفه الجند

يقطفه الحاكمون زهورًا بنفسجةً

ونخيلاً، وسهمًا، وقلبًا

* * *

قال عروة للشَّنْفَرى

قل له تخرج اليوم تزرع فى كبد الليل صرختهم

وتسر النجوم بضحكتنا

قل له ماذا تأبطتَ ؟

قلت تأبط شرًا

/ فاحتوانى فى دفء أضلاعه

وامتزجنا دمًا واحدًا

وتوازت أسنتنا تحت وجه السماء/

(٢)

ليس بعد الإله سوى الحاكمين الطغاه

وأنا كنت بينهما

كنت وحى الفقير، وسيف الحياة

وأنا أشحذ السهم والقوسَ

لم أسترح منذ ذاك الصباح

صرت كل الصعاليك طراً

ألقى بظلى وسيفى فوق البطاح

ليس بعد السلاح سوى الحرب

والحرب ليست صلاة الإله

* * *

صار قلبى عذبًا فراتًا

وعيناى ملحًا أجاجًا

وأنا أتخلق بين ضدين

أتعلق فى صافنات الجياد

/ من يجمع الشمل ركضًا ؟

من ينقذ الموت منى ؟

ومن يتراءى له ما سلكناه فى الأرض من ذكريات

ومن يدعى الآن بعض الحياد ؟

فلا تسمعى

واسمعينى

ما كنت حين تمزق صلب وماء

وحين توحد قلب ودمٌ

وحين اخضرار نجوم المحيطِ

يومها

أبحرت فى سفن الغيب أقرأ أسراره فى كتاب

أقص عليك الأقاصيص

/ هن عذابات قلبى، ما بين سكينة الذبح والسجن

والفاتنات العذاب .. /

وماكن يدعوننى والمزاليج لم تسترح فى مغاليقها

والسياط كذلك لم تسترح !!

تقلَّب قلبى

صادق نجمًا بقاع المحيطِ

وفرعين من أسود حالكٍ

ودائرة من حليب التأجج

وكانت سحابة ليل تفر من البدر

تصرخ من وطأة الوطء

ماذا تراها تكون إذا الشمس جاءت

وجاء الهواء؟ /

(٣)

أنت فى العالمين ضياعٌ

أوحِّدُ فيك تجزؤك الآنَ

اركض إلى سرة البحرِ

ادخل إلى الجرح

استلق فى زبد للخليجِ

وعلق عذابات عشقك فوق المحيطِ

واهدأ على مرمر لاهبٍ

/ فالشياة على قمة التل

صفان، صفان من أبيض

ما افتر ثغرٌ على مثلهم

والماعز الجبلى ـ السواد المؤجج بالليل

فرعان من حولنا /

* * *

آه يا امرأة البحرِ

لا تقبلى فالستائر لا تحجب الضوء

ظلك يأتى بعمق المحيطِ

فيغرق أحلامنا

ارقصى الآن فى السقف

استلقى ما بين أضواء قلبى

ولا تلمسى الحزنَ ... دعينى أغنى

كل هذا الحنان ... ومشنقة فى الصباحِ !!

من لى سلافة أو مُدامْ

لا تسكرونى بالمدام

فالصحو أرقنى وأسكرنى

والسكر أوجعنى وذكرنى

/ وأنا أمر بحانة، فتراقصت سكرى زجاجات الخمور

وصفقت كأس وأسكر فى الحوانيت الكلام /

ـ صرت أنا كل هذى الجياد التى هاجرت للبحار ـ جحيم

هى الأرض

لا أرض إلا الجحيم

وحمحمة وركوض

وأرهقت من تعب فى الخليج

والقلب يصعد تارة

والخوف يرقص فى دمى

والحب يركض والجياد على الصليب

وعلى الصليب، كم مرةٍ، كم عاشقٍ

(٤)

كنت أرثى لحالكَ

فالجيش مفتتحًا بالحراب بلاد الشمال

ترى هل تأخذ الآن كل الرجال ؟

/ قد يهلك الهالكون انسحابًا

ولا يركض العاشقون فرارًا /

كانت الشمس فى عشقها للمرايا

تسطِّر فوق الحجارة كارثة وكتاب

وقالت حقول البحيرات ـ فى رجفة الضوء ـ

ما هاجر السمك الآن

إلا رمى خصبه فى فم الأمهات

هو البيض، أم آلة الحرب ،

أم خصب روحى ـ الذى يفرش الآن كل البطاح

فلا كنت حين يهاجر للحرب

من قال إن الحروب سلاحٌ

* * *

تواريت ما بين حقل وحقلٍ

وأشعلت فيهن روح الحليب من الثدى

فانفرجت باشتهاءٍ قلوب النساءْ

* * *

تعودون بعد القتال فرادى

أرى الشمس بينكموا والرمال

كنت حين رأيتكمو فى الرحيل

تسدون كل المجال

(٥)

كنت حين ولدتُ

وجدت على كتفى صليبى

/ كانت الأرض نائمة، ناعمة، لا اعوجاجْ،

صرختُ على النهرِ

كان يضيع ويبلعه البحر

والبحر ملح أجاج /

تردّد فى حالك الليل صوتى رغم الضياء

نما جبل فى فلسطين ما بين نهر وسهل

وسال دمٌ

ورأيت صليبين منخفضينِ

وأخلو لنا وسط الاشتهاء

* * *

امتدادى بطول الشمال الشروق

الجنوب الغروب

امتدادى بطول الفراعين البراكين

السكون الهبوب

(٦)

من للرجال إذا انكسرتْ ؟

من للبلاد إذا انهزمت؟

يا صاحبى اذكرانى عند المليكِ

/ فحين تصبّ المدام إذا ما استطاب العزيز

فصبّ الكلامَ

مقاطع لا تكتمل.. سوى بالسؤالِ

وكن حافظًا للوصايا الثقالِ /

وكانت بذور النعاس رمادًا يغلف جفن الصباحَ

والحوقلات تزيد ارتخاء الشفاةِ

وتوقظ حنجرة فى الغيابِ

والقمح أعمدة ـ تحت عرش البرودة ـ طالعة للضياءِ

والبرودة جسم النعاس ارتخى بالرزاز

تمدد حتى النخاع

فأنبت فى الحلق روح التثاؤب

والنومَ فى دامعات العيون الثقالِ

كانت الشمس ترسل أجنادها

تقتل النوم

تحرر أعمدة القمحِ

وتلقى البرودة مقتولة فوق خد الصباح

ندىً وابتلالْ

وكنتُ غذاء بحوصلة الطير

والطير خيمة حزن بحجم السماءْ

/ يا صاحبى اذكرانى عند المليك

فما ذكرانى سوى بالنميمةِ

حتى خرجت من السجن للصلبِ

والصلب صار ارتقاء /

يا صاحبى اذكرانى فوق الصليبِ

فما ذكرانى

ولا أقرآنى السلام

ودقا مسامير حقدهما فى الذراع

وضما صليبى إلى الكتفين

فعانقنى الموت، والعشقُ

عانقنى فى الفناء البقاء (*).

١٩٨٤

*

(*) نشرت هذه القصيدة بصحيفة الجمهورية بالعراق عام ١٩٨٤ .

ولادة

(١)

الأرض ساكنةٌ

والشمس فوق الشجيرات مجهدة

والرجال يجرون أرجلهم خلف محراثهم

والنهر عاد قتيل .

يحركه الصبية الطيبون، وقد خرجوا يلبسون العراء

ويعطون للنهر اسمًا...

يمدون أرجلهم فى شقوق البوار شجيرات عمر جليل

وكان القطار يوقع لحن الضياء الجميل

(٢)

النســاء لدى الحـقل أيقـونة فـى حـبـال جـواهره المسـتـمـد الطويلْ

صامتاتٌ إذا جاءها الشكُّ

أو لامس الحوضَ جذرٌ نحيلْ

غاضبات إذا جاوز الحدَّ عنفُ الزمان الكليلْ

مازحات إذا ما انتهى الغضب الأنثوى الجميلْ

ترافق فيض العطاء على قبة السطحِ

منتشر فوقهن ظلال النخيل

ها هى الآن تخرج للحقل صاخبة بالندى والغناء الأصيل.

زارعات فوق خد الصبـاح وورودًا من العشق خالٌ مطرزة فوق خد الجميل

وتوقع أرجلها باشتهاء على صفحة النهر صك الجمال الجليل

وتصب على النيل نهدين تعطى الأمان لهذا الزمان البخيل

(٣)

تناثرت القبرات التى تسكن الطل منذورة للندى والظلام

وطارت على أفق الفجر تستكشف الغد، وتفك عن الصبح قيد اللثام

وتنفض زخ المياه - الذى صار قيدًا - يقيدها للمساء إذا الصبح نام

ثم زق على الغصن بيض الطيور يطل من القش فرخ الحمام

فمدت أصابعها تلقف الحَبَّ تنشره وردة للوئامِ

فترتفع الرفرفات دوائرَ حُبٍّ على الحَبِّ تلقى لها بالسلام

والشمس عند أعالى النخيل محجبة بالغيوم ومنذورة للقيام

وكان القطار يوقع فى صمته المتدرج بالصرخات أتى الفجر هبوا آن أوان القيام

(٤)

ها هى الأرض تعرى

وتخلع أثوابها الذهبية، تحضن شد الجذور الشهية

تستقبل الماء - خصبًا - فترغى لها زبدًا فائرًا

من شقوق الولادة

وتحبل بالحب تلبس أثوابها السندسية

تنفخ فيه الحلاوة والحب والأغنيات المعادة

شجرًا ضاربًا أفرعًا فى عنان السماء البهية مؤتلقًا بالسعادة

مملؤة بالثمار ـ نهود الصبابا ـ ومسكونة بالفحيح المراهق

أصبح القطف فى حبها الآن غاية

وتيجانها الآن مكسوة بالبريق

ومسكونة بالحريق

يغادرها الثوب آية ها هى الآن تعرى إلىَّ

وتخلع أثوابها الذهبية ـ ثانيةً

لا نملُّ الإعادة (*).

*

(*) نشرت هذه القصيدة فى مجلة «الموقف العربى».

علـى المقهـــى

١ـ وجه

لم تكن يومًا صديقى بالجسد

إنما الأشعار بالأوراق

سارت بيننا

ثم حين اشتد معصمهم

تركت لنا الأحزان

سرت إلى الأمان

عدت محشوًا ببعض المال

وانتفت القصيدة فيك

لكن لا حسد

٢- وجه

سالت حروف الماء فوق جدار كأسك

والساكتين على جدار الجوع

قد حمدوا الصمد

ومنحته البقشيش منتشيًا

لترسم صورة فوق الموائد

إن مضى جسد

وتحسب أن زهر النرد

يحمل وجهك القزحى فى جنبيه

يذكرك الذين تذكروا

والأم فى شباكها

قطفت عناقيد انتظارك

للأبد

٣ ـ شاعر

هى الآن تمشى

وأنت تحاورها فى الشوارع

فوق مقاهى الحسين

وعند أزقة مصر القديمة

ترى كيف تمسكها

لتصير سطورًا من الضوء

فى دفتر الليل

خبزًا لهذى الوجوه الفقيرة

والقراءات سبعًا

وأنت عليم بما يحزن القلب فيها

فأجزت لنا الحالة المستحيلة

٤ ـ مرأة

كنت كأسًا واحدًا

والليل كأس واحد

والقلب طارحنى الهوى عن نخبه فيما الهوى

قد فاق

فنزلت فى ثقة إلى نفسى أراودها

وأسأل فى متاع الروح سرًا عن دم العشاق

وانتشى حلو الحديث المر فينا عن أسى قد راق

مال منا الرأسُ

وانتثرت عيون البرق محبوبًا

ومال الشال

ثم ألفيناك سكرانًا شبابيكًا وأبوابًا وطرحًا دانيًا أطفال

لم يبعها مشترٍ فى هذه الأيام للحاناتِ

أحلامًا وأيامًا وأحزانًا وكذبًا قال

يا غريبًا عن ديار الروح

رحت تعيد للأحداث أرواحًا

وتنفخ فى حكاياهم رؤاك البكر وتعشق لحن أيام

روَاها مدعٍ جوال

تعبت من الحكايا

والزجاجات استقرت فوق صدر الليل

نائمة بما فيما ومن فيها ارتوى أو مال

وكنت تعد نجمات وتبقى فى ظلام السير

تدعوها لنجمة آخر الأضواء

حين البدر كان هلال

ولا تأتى لنا النجمات

لكن تسبق الحيَّات

سميناك أيدينا بما قدَّت بها السكين أيامًا

وسميناك

وسميتَ الفؤاد المتعب النبضات أحزانًا

وودعت الهوى فينا

فودعناك

ثم ألفيناك منسلاً إلينا

عاشقًا مشتاق

جئت مصطحبًا لنا ليلاً طويلاً

كم تجاذبناه أطرافًا

ففاض الليل بالعشاق

وارتمى فوق الأريكة فى مقاهينا

وكان النوم طيرًا فارق الأحداق

وامتزجنا وحدنا بالضحك والآمال

والدنيا وكل النجم والأشواق

ثم فاجأنى النهار الغضُّ

لم أبصر سوى قلبى

وحزن دائم متفتح الأحداق.

١٩٨٤

*

اغتصــــاب

هكذا البحر يحملنى الآن فى زورق

بين تلك الشواطئ

تلك هى الآن دندنة الموج

أعرف أن الرياح التى سوف تأتى مدمرة

فلماذا يقاتلنى السمك البحرى ؟

ليس هو القرش

إنه السمك البحرى

هذا الذى يعتلى سلم الموج

يرقص فوق الصوارى

يفتح فوق الشواطئ خمارة

ويوزع للغرباء بقية جسم الوطن

***

يعذبنى الجرح

والمرض ـ المزمن ـ المتخفى فى معدتى كالثعالب

معدتى

لا يعالجها الخمر ولا التبغ

ولا الانطواء

ولا قنينة للدواء

ولا العشق فى أخريات الزمن

هو الموت

ليت الطبيب المعالج يدرك

أنى مصاب بداء تفسخ هذا الوطن (*).

١٩٨٢

*

(*) نشرت هذه القصيدة بمجلة «أدب ونقد» .

خلـــود

الناشين فى متحف الذاهبين دماءً

الميادين فى عتمة الليل تبدو خواء

والأزقة فى داخل القلب تثقب وجه السماء

فينفذ منه الدعاء

ويسَّاقط الوجدُ،

حلمًا وأمنية وشراء

فيطوون أحلامهم فوق آلامهم

ويخدرون المساء

ويرتحلون إلى السحب ينتظرون العطاء

فلا يبقى فى داخل الكف إلا الهواء

هراء... وقبض الرياح هراء

***

الدماء بذور من الورد تنبت زهر الكرامة

تسترجع الحق

تستنهض العزم

تستقدم الحلم

لو صادفت أرضها مرةً

أو عانقت حقها مرةً

لكنها تذبل الآن فى اللافتات

وتحفظ فى المكتبات

وتملأ أشرطة بالغناء

وتصبح فى متحف الذاهبين بغاء

***

السراب المخادع يهجر أرض الفلاة

ويحتل جسم الميادين عند المساء

فيبدو سكونًا

فيحسبه الحاكمون رضاءً

ويزداد ثقل السكون

فيضحى قنوطًا

فتشتعل النار فى موعد كالقضاءْ

فتضحى الميادين

مرقشة بالنياشين.. نهر دماءْ

١٩٨٦

*

عــــلاقـة

صقر

قلت لم يستقم كالحمام

ولم يستدر كاليمام

ولم يلن العظم منه كعصفورة

كل أبواب أوطانه مغلقة

فانحنى فوقها ثاقبًا حزنها كوة

حزنه حريةً

ناشرًا فوق أشجارها الأجنحة

ناسكًا فى قباب السموات يبحث عن قلبه

إنه راهب

للعصافير رهبانها

للميادين أشجارها

إنه راصد

* * *

جواد

الجواد الذى فاجأ الناس من ألف عام

واعتلى قبة القدس.. مات

عليه السلام

اختفى سرجه، درعه

سيفه، عرفه

لم يعد ساطعًا، باقيًا فوق هذا المدى

غير ذاك اللجام

* * *

فتوى

فتوة فتنة

للجوارى السبايا

وبعض التى لم تصن نفسها

والتى أحصنت فرجها

لم تكن غير تلك التى أسلمت نفسها

غير أن المدى صار أكذوبة وانتهى

انتهى.

* * *

حنظلة

فوق لب الفؤاد انطوى.

واحتوى بعضه

ماضغًا مره

راقبًا جرحه

عارفًا بالذى غاله

سالكًا دربه

* * *

ألف

صار سيفًا

وشد المدى شفرةً

وانبرى فى الورى قامةً

لايميل ولا ينحنى

ولا يرتجى فى المدى أحداً.

لهب من حرائق لاتنتهى

قيل صار منارات أهل الورى.

قلت لا .

إنه القلب فى حزنه(*).

١٩٨٦

*

(*) نشرت هذه القصيدة «فى مجلة القاهرة» ١٩٨٦ .

وطـن

اتفقنا

فبدّل سترته بالعراءِ

وبدلت سترة قلبى بالشعرِ

رحلنا إلى الحلمِ

قلتُ

ثبّتُ لى أفقًا وسما

وأضاءتُ مصابيحه أنجما

فزهى وازدهى قمرًا فى السماء سما

وأنا كلما

جاءنى الشوق أومأت رأسى له، فومًا

فأسكنت قلبى بين الضلوع

وأسكنت بين ضلوعى

قلبًا له فنما

ونزفنا قميصًا من الشعر

نسكنه دائمًا

ونسير غريبين فى وسط الكائناتِ

فلا ننتمى للبطونِ

ولكن إلى شجر الورد فى أى كون نما

ننتمى

وبكينا أحبتنا فى المساءِ

نحتنا على شجر القلب أسماءهم

فطفت ذكريات معذبة

وسؤال يشوه أحلامنا

وخُلعنا من الأرض للكونِ

صرنا وحيدين فى شجر الذكرياتِ

ولكن من داخل القلب

أوطاننا قد هَمَّت

ونمت

وازدهت

فتبسَّمَ من فوره

فصرت أرى وطنًا بين عينيهِ

يرحل حين ألامس جفنيهِ

يغرقنى فى المساء

فأبكى دما

١٩٨٩

*

أوان القطـاف

حين تمضى إلى آخر الحلمِ

أتبعها

وألامس فى ومضة الروحِ

نبض العصارةِ

ترتفع الآن نحو العناقيدِ

تدلك سيقانها بالثمر

وتفتح فى عروة الباب بابًا

فأسمع أغنية للسفر ..

لم تكن غير قاتلتى

لم أكن غير عاشقها

وأنا بوح أغنية رفها الحلمُ

قالت : أيوسفُ ؟!

يا ويلتى ما أرى ؟!

فقلت لها :

إنه العاشقُ الصبُّ

لا تكلفى بالرؤى

تصبب وجه المسيح برائحة الخبزِ

واعتل آخر حرف من الفعلِ

هل من ملوك لنحو القريض

[تُفاصلُ] ما بين نحو العراق ونحو الجزيرة

أم أنها اللغة الغائبة ؟!

سأفتح بابًا مصفحة بالمجازِ

فينسل حرفٌ

له رقة النسخ

أو روعة الرُّقعة الأم

أو شهقة الزخرف العربى

تموت الحياة هنالك تحت سيوف ملوك الطوائف

ـ مات من مات يا سيدى

ـ قد أذهلت كل مرضعة

عن مياه الخليج

ومات الذى لم يخن صاحبه

ـ مات من مات يا سيدى

والقصيدة لم تُنزل القدمين

إلى جرة الدفء

لم تتفيأ لها موطنا

ـ والسيوف التى ارتعشت

فى وميض الدنانير

لم تستبح فى الضمير سوى ذلها

ـ والجزيرة تستصرخ الآن من هلعٍ

هى الآن قطعة قطن ملطخة بالدماء

لفائف حيض تدلت على الرمل

زاعقة بالعواء

ـ والعدالة قد هاجرت للسماء

سلخوا جلدها

والخناجر مسمومة بالعواء

والحناجر صامتة فى العراء

والعيون الكليلة قد صدقت

أن فى موتها بعض هذا الوفاء

* * *

والعصارة قد وقفت مرتين

تساءلت الآن .

عن عشقها للبشر

وما جدوى أن تنتشى الأرض

أو يتدلى الثمر ؟!

ـ مات من مات يا سيدى

ـ نعم حان منذ بعيد أوان القطاف(*).

١٩٩١

*

(*) نشرت هذه القصيدة بجريدة «مصر الفتاة» عام ١٩٩٢ .

قصيدة من العالم الثالث

أخرجتها من دمى عنوةً

ومزقتُ عنها رداء السفر

وأجلستها فوق مخدعها صامتًا

ولملمت كل المرايا ـ التى عُلقت

فى جدائلها خلسةً

إنها فتنة

كنت أكتبكِ الآن فى جسد الوردِ

أغنيةً للإقامة، تاجَ الرحيلِ

بعمق السفر

بين صمتين تخرج أزهار لوزٍ

وتين، هنالكَ

ما بين نهديك تبسم لى

اعتدلتِ وخليت ما بيننا لا يكون

واتبعت خارطتين من الضوءِ

فاعتدلتُ فى المرايا الظنون

خرجت إلى الشارع المتلفع بالضوءِ

والبرد يفرش أرض البلاد بثلج وغاز

وقد كنت أوثقتك القَبْلُ فوق السريرِ

وقلت طليق أنا فى البلاد

وكم مرة خاننى الظن أنك خلفى

أمامى، وعن جانبىّ تسيرين

ليس صحيحًا جميع الظنون سُدى

والحقيقة أنك طالعة فى الفؤادِ

ومكتوبة فى الردى

من ترى يتقلد صوتك

ويزيف بهجة عمرى

بأنى انفلت كما الضوء منك

ربما يتجسد حزنى الذى يفسد

الفرح فى الذاكرة

والرصيف المشاغب يرسل كل

الذين على شاطئ الحلم

للعربات التى من بها لا يعود

والشاحنات الثقيلة

ترسم فى جسد الشارع المستطيل

الرصاص المباح

فنقرأ فى عمقه آية للسكون

وما بين خاصرتين رأيتك فى القلب

تبتسمين

وقد كنت منشغلاً بالحديث إلى شارعٍ

ضاق بى فجأةً

هرولتُ

رأيتكِ فى الناس ثوبًا . وشعرًا

وبعض التفاتات تأخذ قلبى

فهرولتُ

- هى الآن فى الشارع الملكى تُزوِّرُ

أوجهكم عاشقيها

وتصبغ أصواتكم بالصليل

وتمنع عنها الصهيلَ

أفتش قلبى

أراك ترفين بين المشاةِ

إلى متجر عامر بالجياعِ

فأركض

أركض

أعود إلى المخدع الدموى

أراك على صدره وردةً

وحبل وثاقك قنينةً

وعطرك خدرنى

فارتميت لحالى على صدرك المستدير

وأجهشت ثانية بالبكاء

لك الآن فلترحمى ذلتى

وتبقين فى الحلم أسطورتى(*).

١٩٨٩

*

(*) نشرت هذه القصيدة بمجلة الشاهد فبراير عام ١٩٩١ .

مواجهـــة

وكنت أقوم لأكتبَ

تحت جدار المدينة مظلمتى

وأدحرجها فى الطريق

للمليك/ الذى صفَّد القلبَ

أوقف أغنية النبضِ/

لكننى كنت أشدو

فهل يا ترى يسمع المالكونَ

حكايات قلبى الجريح ؟!

من ترى يترك العودَ

والجاريات الجميلاتِ

يسمع مظلمة القروى الفصيح

* * *

وقلتُ

فتاة ستأتى من الوطن المتأرجح

بين البكاء وبين الغيوم

لتزرعنى فى تراب الوطن

وتخرجنى/ فى الصباح/ الفتى القروى الجميل

ومازلتُ فى دورة الانتظارِ

أراها

وأعرف كيف أدثرها بالهمومِ

وأغرقها بمياهى

وأجعلها تمسك النجمَ

من فوق هذا الفراش الفقير

فجاءت فتاتانِ

فأى الفتاتين [كانت لموسى]

وأيهما للفتى القروى النبيل ؟!

وجاءت بحضرة سيدها

فى المساء، مصفدةً بالمشيئة

مثقلةً بالغيوم

فغافلت سيدها وأرقتُ النجوم

وأدرت لها صفحة الوقتِ

مزولتى

قالت: أى البلاد ـ ترى ـ أنت سيدها ؟!

قلت : كل البلاد

أنا فى الحقيقة مسجونها

طالما عسكرٌ عسكروا فوق

كل منازلها

وأنا في جميع العصور بها

خارج عن نظام القبيلةِ

منتظر مقتلى بين تلك النجوم

١٩٨٧

*

أغنيــــات

١ـ لى

للناس أعذار

ولى وجه الحبيبةْ

للناس أرغفة

ولى كفُّ الحبيبةِ

كفنى عن زلتى

للناس أقدارٌ

ولى فى قمة الأشجارِ

مشنقةٌ

إذا ما خنتها فى سر سرى لحظة

٢ - شيماء «مواجيد»

شيماء تدخل عامها العشرين

فانهض من حروفك

واعتذر عن كبريائك

وانحن للسادن الملكى فوق الفلسِ

ضُم الفلس فوق القلبِ

وانسج من سقوطك ثوبها

وارشُ السماء بدعوة ملكية الأعطافِ

حتى لايغازلها الطغاة

٣ - نقيق الضفدع

كالبرق صاعقةٌ

على وطن هوت

فتفحم الكُتَّابُ

وانجاب الورى

ناى حزين

فتح يؤلف بين ما سلب الفؤادَ

وبين من سَلَبَ الوطن

جرح ، وفوضى من مداخلةٍ

وتنظيم، وعبقرةٌ لنسج الحرف جنب الحرفِ

تنبثق الحياة

وتدب روحى فى مسالكها

فأشنق فى ذرى أشجارها

الله ما أحلى الحياة

٤ ـ الشعر

من ذا يعفر وجه هذا الليل

بالفجرالندى ؟

ويرش ماء الطلِّ

فوق اللحية السوداءِ

يجعلها زهورًا فى السماء ؟!

من خلف هذا الكون

يرصدنى

ويكتبنى القصيدة ؟!

من خلف هذا الليل

ينسج بُردة الليل الهوينه

يطفئ القنديل خلف البحرِ

يلقى فوقنا تاج الهموم ؟!

من خلف هذا الكون

يرهقنى ويُسكن جفن عينى النوم

يخدعنى وينهى دوره قبل انتباهى ؟!

سأظل مرتقبًا

لأشهده يعفر وجه هذا الليل

بالفجر الندى

٥ـ سؤال

لماذا كلما أعددت

أغنية لقلب حبيبتى

جاء الطغاة،

١٩٩١

*

انفجـــار

كلما جاءها ولد من ولد

أحكمت شالها كالوتد

زرعت فى عيون الزمان العدد

آهٍ منها العجوز البلد .

* * *

والنساء لها شبق بالرجال

والرجال لها شبق للسلاح

والسلاح له شغف للبلاد

والبلاد التى أَسْكَتَ الخوف ملّتها

تستتبتّ الحلم من ظلمة الليل ،

من وقدة العجز طول الأمد

وقال المصابون فى جوفها بالرمد

البلاد استكانت على النيل

قافلة من عُمُدْ

والنخيل، النجيل على النيل هذا النهار سجد

والشجيرات لاتمنح الظل للنائمينَ

على العشب مرتهنين إلى الظل مدوا الجسد

* * *

كلما جاءهنا نبأ من ولد

أحكمت شالها كالوتد

قرأت فى عيون الزمان الأبد

آهٍ منها العجوز البلد

* * *

كان صوت انفجارات قلبى

يغير وجه السماء

ويسقط عاصفة من بَرَدْ

والميادين قد شاكها الوجدُ

فاندلعت قوة من غضب

والجنود على النيل شاكى السلاحِ

يحلون شال الأميرة

يستقطعون ضفائرها قطعةً قطعةً

ويشقون سراويلها طلقةً طلقةً

آهٍ منهم وحَلَّ البدد .

* * *

كلما جاءها نبأ عن ولد

أرجفت لحظة، واستقامت

وسارت كجن مرد

ومدت أصابعها تستكشف النيل

تسأله عن أحد

والميادين مشغولة بالعواءات ثانيةً

يا بلد

فجأةً

جاءها الطلقُ

لم تستند للنخيل، ولم تأكل الرطب الغضَّ

لكنها

أطلقت جوفها للنهار مدد

فتعالت على العشب صرخات كل الجياد

وكل الجماد.. وقافلة من كمد

وكان على الأفق صوت الغبار يشكل

ومض السلاح به انطلاق الشهب

واكتسى النيل بالدم

والعشب بالخيلِ

والليل بالفجرِ

وأطلت على النيل فاتنةً من لهب

وكان الرصاص تجاوز منى الجسد

رجحت كفتى يا بلد

وانبثقت راحة القلب طول الأبد

آهٍ منها العروس البلد(*).

١٩٨٦

*

(*) نشرت هذه القصيدة بجريدة الأهالى والوحدة بتونس .

التعريف بالشاعر

- صلاح والى
- شاعر وروائى
- SalahWaly@yahoo.com.

- صدر له :

أولاً - الأعمال الشعرية :

١ - تداعيات العشق والغربة	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ .
٢ - تحولات فى زمن السقوط	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ .
٣ - من أين يأتى البحر	دار الغد ١٩٩١ .
٤ - الغواية	دار سعاد الصباح ١٩٩٢ .
٥ - الرؤيا والوطن	أصوات أدبية ١٩٩٥ .
٦ - تجليات حرف الصاد	كتابات جديدة ٢٠٠٣ .

ثانياً - الأعمال الروائية :

١ - نقيق الضفدع	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ .
٢ - عائشة الخياطة	مختارات فصول ١٩٩٦ / مكتبة الأسرة ٢٠٠١
٣ - ليلة عاشوراء	روايات الهلال ١٩٩٢ .
٤ - كائنات هشة لليل	أصوات أدبية ٢٠٠٠ .
٥ - الرعية	اتحاد الكتاب ٢٠٠١ .
٦ - فتنة الأسر	دار ميريت ٢٠٠٣ .

● صدر من هذه السلسلة :

* المختار من أشعار صلاح عبدالصبور	ديوان شعر	صلاح عبدالصبور
* أغانى الماء	ديوان شعر	محمد إبراهيم أبوسنه
* أتشكل فى صور خارقة	ديوان شعر	بدر توفيق
* البلبل والجلاد	ديوان شعر	د. حسن فتح الباب
* قانون بقاء الجرح	ديوان شعر	د. نصار عبدالله
* صرخات تحت قبة الأقصى	ديوان شعر	أحمد سويلم
* المختار من أشعار عبدالعليم القبانى	ديوان شعر	عبدالعليم القبانى
* انتفاضات الوجد والغضب	ديوان شعر	د. سامح درويش
* بركان يركض	ديوان شعر	فوزى خضر
* أغنية البوح الباقية	ديوان شعر	جميل عبدالرحمن
* من أحوال الدرويش العاشق	ديوان شعر	درويش الأسيوطى
* عزف جديد على وجع قديم	ديوان شعر	محمد عبدالصمد زكريا
* ورد وحجارة	ديوان شعر	محجوب موسى
* أحزان الرماد	ديوان شعر	أحمد غراب
*مكابدات المغنى والوتر	ديوان شعر	محمد محمد الشهاوى
* المختار من أشعار فتحى سعيد	ديوان شعر	فتحى سعيد
* الوقوف بامتداد الجسد	ديوان شعر	حسن النجار
* ملامح أخرى لامرأة عنيدة	ديوان شعر	شريفة السيد
* لا يسأل الطير	ديوان شعر	مدحت قاسم

الفهرس

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٣١ / ٢٠٠٥

I. S. B. N 977 - 01 - 9524 - 3

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب